الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الأنساق الثقافية في شعر عنترة بن شداد

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص: أدب قديم

إعداد الطالبة:
نجمة بنيوي

إشراف الأستاذ(ة):
هاجر بكاكرية

السنة الجامعية: **2014/2013**

دعاء

اللهم علمنا ماينفعنا وإنفعنا بما

علمتنا وزدنا علما اللهم نسألك علما نافعا

ورزقا طيبا

وعملا متقبلايا رب إذا أعطيتنا نجحنا فلا تأخذ

تواضعنا وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ إعتزازنا

بكرامتناوإذا أسأنا يارب إلى الناس

فإمنحنا شجاعة العفو

اللهم آميــن

شكر وتقدير

بعد الإنتهاء من هذا العمل لايسعني إلا أن أتقدم بأسمى عبارات التقدير

والإحترام والإمتنان إلى الأستاذة المشرفة "**هاجر بكاكرية**"

التي لم تبخل علي بنصائحها وتوجيهاتها

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتورة الفاضلة"**مسيلي وردة**"

التي لم تبخل علي هي الأخرى بإرشاداتها وكذلك

الأستاذة الكريمة" **بونشادة نبيلة**"

وكل الشكر والإحترام للأستاذ الفاضل"**سليم بوعجاجة**"

وكذا إلى جميع أساتذة معهد الآداب واللغات.

فشكرا جزيلا لكم.

إهداء

إلى التي حملتني وهنا على وهن، إلى نور العين وضوء القمر

إليك **أمي الحبيبة**

إلى روح الغالي الذي يسكننا دوما، روح **والدي العزيز**

- رحمه الله -

إلى الحبيبين: **بلال و داود**

إلى الإخوة والأخوات: **إلهام، سميحة، رحمة، رابح، محمد وشيماء**

إلى الصديق العزيز الذي لم يبخل علي بشيء: **وهاب**

إلى الصديقات: **إيمان، إيناس، فائزة، نجاح، زينب**

إلى العزيزات: **وسام وسلمى**

إليكم جميعا أهدي هذا العمل

مقدمة

مقدمـة:

تطور النقد العربي في العقود الأخيرة تطورا كبيرا أين ركز لمدة طويلة على اكتشاف جماليات القصيدة العربية التي تمثل أرقى درجات الإبداع العربي، والشعر القديم هو الوعاء الذي يكشف عن أنساق ثقافية مضمرة ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه وبما أن الأنساق الثقافية هي حوار واعي ودقيق يقوم به الناقد من خلال فحصه وتمحيصه للنص الأدبي، وبذلك فتفكيك و استخراج أنساق ثقافية مضمرة تتحكم في تصوراتنا و استجاباتنا، خاصة وان الكشف عنها لا يتحدد إلا بوظيفته.

وقد كان شعر عنترة بن شداد من النماذج العربية التي ساهمت في تكوين الشخصية الشعرية العربية باعتبارها نسق ثقافي، وتوجيه سلوكاتها خاصة وأن شعره يعكس العديد من الجوانب التي مست الثقافة العربية وأثرها فهو أحد أصحاب المعلقات البارزين وفرسانها المشهورين في العصر الجاهلي، فكان مفخرة وقدوة كل عربي فيه الشخصية البطلة الكريمة والروح العربية الراقية التي تدفع كل باحث للدراسة عنه، وبما أن شعره وحياته من الموضوعات التي تعدد البحث فيها، فقد اخترت أن يكون موضوع بحثي" الأنساق الثقافية في شعر عنترة بن شداد"، وهو جانب جديد لم يحظ بالقدر الكافي من الدراسة،إذ أنه يكشف لنا عن جملة الأنساق الثقافية التي لها علاقة في توجيه شعر عنترة في ضوء فكرة النسق الثقافي.

وقد أردت من خلال هذه الدراسة التطلع إلى الأهداف التالية:

- التعرف على الخلفيات والقيم المعرفية التي أسهمت في بناء وتكوين شخصية عنترة.
- مدى تأثير هذه الخلفيات والقيم على شعره ظاهرا ومضمونا.
- الوقوف على أبرز الأنساق الثقافية المضمرة في شعره.

وقد حاولت من خلال دراستي هذه التطرق إلى الإشكالية الآتية:

إلى أي مدى كان شعرعنترة بن شداد متضمنا لأنساق مضمرة ؟ وكيف تجلى هذا النسق في شعره ؟

ولكي أجيب على هذه الإشكالية خصصت شعره كمدونة أساسية لتفكيك تلك الأنساق.

و لمقاربة هذه الإشكالية ارتأيت تقسيم بحثي على النحو الآتي:

1- المدخل بعنوان عنترة بن شداد درست فيه: اسمه، ميلاده، عبوديته، حريته ثم فروسيته، وأخيرا وفاته.

2- الفصل الأول والموسوم ب: النقد الثقافي: النشأة والتطور: فقد درست فيه مفهوم الثقافة ثم مفهوم الدراسات الثقافية والنقد الثقافي و يليها مفهوم النسق الثقافي(لغة وإصطلاحا) ثم شروط النسق الثقافي، وأخيرا الفرق بين النسق الشعري والنسق الثقافي.

وجعلت الفصل الثاني تطبيقا استخرجت منه الأنساق الثقافية المضمرة في شعر عنترة. من نسق جمعي ، وآخر فردي إلى نسق المعارضة وختمت بحثي بخاتمة كانت حوصلة عن ماجاء في البحث والنتائج التي توصلت إليها من خلاله.

وإستعنت بأدوات النقد الثقافي مع الاستعانة بأدوات المنهج التاريخي وما كان لهذا الإنتاج أن يتجسد فعلا لولا مجموعة من المصادر والمراجع التي أفادت البحث بإختلاف درجات هذه الإفادة منها: شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي بتحقيق مجيد طراد، وكذا شرح المعلقات السبع لأبي عبد الله أحمد الزوزني، وعلى مراجع عديدة منها: النقد الثقافي لـ: " عبد الله الغذامي"، ومدخل في نظرة النقد الثقافي المقارن" حفناوي بعلي"، والأدب موضوعا للدراسات الثقافية " إدريس خضراوي" بالإضافة إلى مراجع أخرى.

وقد واجهتني الكثير من الصعوبات قبل أن أنجز هذا البحث، أهمها قلة المصادر والمراجع في مكتبة المركز الجامعي، الأمر الذي جعلني أتصل بجامعات أخرى، وأهم صعوبة ضيق الوقت الذي حال دون التوسع في كثير من عناصر البحث.

مدخل

مدخل

عنترة بن شداد

1- اسمه

2- ميلاده

3- نشأته

4- عبوديته

5- حريته

6- فروسيته

7- وفاته

تمهيــد:

يعد الشعر الجاهلي الشعر الذي قيل قبل الإسلام، وقد حفل بقصائد ومعلقات ومقطوعات حفظها وتناقلها الرواة منذ القديم، وكان لهذا الشعر في العصر الجاهلي مكانة مرموقة عند العرب فهو ديوانهم وملاذ أحاسيسهم ، لذا أنجب هذا العصر شعراء ساهموا في حفظ التراث العربي منذ الجاهلية، وعلى رأسهم شعراء المعلقات أمثال: زهير بن أبي سلمى لبيد بن أبي ربيعة، امرئ القيس، وعنترة بن شداد هذا الأخير كان من الشعراء البارزين في حفظ التراث، وكان علما بارزا بشعره، وفروسيته وبطولاته و اخلاقه.

من هو عنترة بن شداد االعبسي؟

1. اسمه:

تكاد تتفق كلمة النقاد القدامى الذين ترجموا سيرة عنترة بن شداد حيث "جعلوا اسمه (عنترة) بإثبات التاء المربوطة ولكننا نجد بعضهم خالفوا وجعلوا اسمه (عنْتَرَ) بدون تاء،كسبويه فقد نقل ابن منظور عنه هدا القول .

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالرِّماحَ كَأَنَّهَا أَشُطَّانُ بِئْرٍ فِي لبانِ الأَدْهَمِ "[1]

"فقد يكون اسمه عنترا كما ذهب إليه سيبويه وقد يكون أراد عنترة، فرخم على لغة من قال ياحَارُ "[2].

قال" ابن جني، ينبغي أن تكون النون في عنتر أصلا ولا تكون زائدة كزيادتها في عنبس وعنسل لأن دينك قد أخرجهما الاشتقاق، أن هما فنعل من العبوسة والعسلان، وأما (عنتر) فليس له اشتقاق بحكم له يكون شيء منه زائدا فلابد من القضاء فيه يكون كله أصلا.

والعنترة، والعنتر والعنترة كله : الذباب، وقال ابن الأعرابي :" سمي عنترا لصوته"[3].

بالإضافة إلى ورود اسم عنترة في معلقته في مكانين بحذف التاء وذلك في قوله:

" وَلَقَدْ شَفَّي نَفْسِي وَأَذْهَبَ سُقْمُهَا قَيِّلَ الْفَوَارِسُ ويك عَنْتَرَ أَقدمَ ".[4]

---

[1]– أبي عبد الله الحسن بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع،تح: طلال أحمد،دار الكتاب العربي الحديث، القاهرة ط1 2002، ص: 142.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، تح: خالد رشيد القاضي،ج14، دار صبح ، لبنان، ، ط1 ،2006، ص: 407.

[3]–المرجع نفسه، ص: 407.

[4]- المرجع نفسه، ص: 143.

أما محقق ديوان عنترة "محمد سعيد مولوي" فيقول :" إن لنا قرينة أخرى كون اسم عنترة بإثبات التاء وهي ورود اسم أكثر من شاعر على لفظ عنترة كعنترة بن الأخرى الطبائي ،وعنترة بن عروس".[1]

فهو بذلك جعل من اسم عنترة مقرونا بتاء مربوطة وقد تعددت وتضاربت الروايات المحددة نسبه أبرزها: قول الخطيب التبريزي : "هو عنترة بن شداد بن معاوية بن ذهل بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس، كذلك هو عنترة بن شداد بن معاوية بن قرادة أحمد بني محزوم بن عوذ بن غالب ".[2]

أما ابن قتيبة فيقول: "هو عنترة بن عمرو بن شداد بني محزوم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن بغيض"[3]

يقول عنترة:

" إِنَّي اِمْرُؤَ مِنْ خَيْرِ عَبَسِ مَنْصِبَا شَطْرَي وَأَحْمِي سَائِرَي بِالمَنْصَلْ

وقال ابن قتيبة شارحا : يقول النصف من نسبي في خير عبس وأحمي النصف الآخر وهو نسبه في السودان، فأشرفه أيضا".[4]

يفتخر عنترة بن شداد بنسبة العريق في عبس وبأخواله في السودان لكن يرى أن الأمر لا يتعلق بالنسب والانتماء فقط بقدر ما يتعلق بخصاله الحميدة وأخلاقه الكريمة التي تفرد بها عن باقي أفراد قبيلته.

لا يمكن الجزم بنسب ثابت فقد تعددت الأقوال وتضاربت لذلك يبقى اسمه هو عنترة بن شداد كما عرف واشتهر في العصر الجاهلي.و هذا ما تقره تغلب الدراسات الادبية عبر مختلف العصور.

2. **ميلاده:**

إن الحديث عن تاريخ ولادة عنترة بن شداد وزمن وجوده مليء بالأغلاط لذا وجب العودة إلى الحديث عن أيام عبس، وأشعار عنترة، وأول هذه الأخبار ما أورد، "ابن الأثير" في كتابه

---

[1] - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ج1، ط1، 1919، ص:250.

[2] –الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، تح: مجيد طراد، دار النشر العربي، بيروت، ط1، 1992، ص:07.

[3] - شرح ديوان عنترة تح: محمد سعيد مولوي، المكتب الاسلامي، دمشق، دط، دت، ص: 18.

[4]- المرجع نفسه، ص:18، 19.

"الكامل" عن أسباب "داحس والغبراء" والمعركة لم تشتعل نارها بعد: "فحينما قتل مالك بن زهير انظم قيس بن زهير إلى ربيع بن زياد، وأنشدهم عنترة بن شداد مرثيته في مالك.

فلله عِيَّنَا لَمْ رَأَى مِثْلُ مَالِـــكَ عَقِيرَةِ قُوَّمِ أَنْ جَرَى فُرْسَانُ

فَلَيْتَهُمَا لَمْ يُطْعَمَا الدَّهْرَ بَعْدَهَا وَلَيْتَهُمَا لَمْ يُجْمَعَا لِرهـــانِ ".[1]

فهو يبكي موت الرجل الشريف مالك بن زهير في حرب داحس والغبراء ويتمنى لو أنه لم يرسل إليها.

يدل هذا الخبر على أن عنترة كان موجودا منذ أيام داحس والغبراء بالإضافة إلى وجود خبر آخر يدل على وجوده منذ أول حرب داحس، "وذلك بعد أن تم الصلح من أجل الرهان بمقاصة دم بن مالك بن زهير بدم بدر بن حذيفة، وأطلق صراح قيس فإنه لما رجع إلى قومه ندم (حذيفة) على ذلك الصلح وساءت مقالته في بني عبس، وركب قيس ابن زهير وعمارة بن زياد فمضيا إلى حذيفة فأجابهما إلى الاتفاق، فإذا تذكرنا الخبر الذي ينص على تحدي عنترة لعمارة بن زياد الذي تعرض له بالرمح وكان عنترة حاصرا فذهب ولبس لأمة الحرب ثم عاد فتغافل عنه عمارة". [2]

وغالبا ما يكون التحدي بين المتنافسين أو بين الأقران في القبيلة الواحدة ولهذا نرى أنه لم يكن بينهما تباين كبير في السن، وهذا يدل على وجود عنترة آنذاك، إن هذين الخبرين يدلان في مجملهما على أن عنترة بن شداد عاصر أيام "داحس والغبراء كلها بدءا من ذي المريقب (و هي أول أيام داحس و الغبراء) إلى يوم شعراء و قد انتهت هده الحرب قبل الإسلام بقليل اي قرابة 700 للميلاد.

"وعنترة شهد بدء حروبها وسنه قريبة من الثلاثين خاصة وأن هذه الحرب استغرقت أربعين سنة، وبذلك نجعل ولادة عنترة بن شداد العبسي بحدود سنة 530 للميلاد تقريبا".[3]

نشأته:

اتفق الدارسون أن عنترة بن شداد يمت بنسبه إلى قبيلة عبس الموجودة في بلاد نجد حيث ولد فيها وترعرع في كنف أفرادها، وهذه القبيلة هي "بطن غطفان" عدت إحدى جمرات

[1] - شرح ديوان عنترة، ص: 32، 33.

[2] - المصدر نفسه ، ص: 33

[3] - المصدر نفسه ، ص: 18، 19.

العرب قال ابن عبد ربه: "وجمرات العرب أربعة وهم : بنو نمير بن عامر بن صعصعة وبنو الحارث بن كعب وبنو الضبة، وبنو عبس بن بغيض"[1] ،وقيل لهم الجمرات لاجتماعهم.

تميزت قبيلته بالترحال و التنقل بحثا عن الماء و الكلأ وطلبا للرزق ففي هذه البلاد الواسعة عاش عنترة بن شداد، وتقاسم مع أفراد قبيلته حلوها ومرها سعيا وراء أسباب الحياة. وطبيعة التنقل بين بلدان الجزيرة العربية كان مدعاة للحروب وكان سببا لكثير من الغارات هذه الأخيرة كانت سبيلا من سبل الرزق التي اعتمدتها قبيلة عبس إضافة إلى حياة الرعي.

فداع صيتها نتيجة الحروب الكثيرة التي خاضتها والمعارك التي حضرتها وبرز اسم عنترة وكان له منها حظ الأسد خاصة في معركة داحس والغبراء هذه الحرب التي طالت أيامها واستنفذت طاقات كبيرة وأحبطت من معنويات محاربيها وحملتهم خسائر وخيمة.

لكن النصر فيها كان لعبس بفضل شجاعة وقوة وبطولة عنترة بن شداد بالإضافة إلى مشاركته في حروب أخرى زادت من قوة وصلابة ومكانة قبيلته.

لكن بالرغم من شهرة عنترة في هذه الحروب وعلو صوت قبيلته إلا أنه عاش زمنا طويلا عبدا مملوكا كباقي العبيد والإماء الدين لا يعرفون في حياتهم إلا الخدمة والعمل.

خاصة و ان حياة العرب في الجاهلية تجعل من العبيد يمضون أيامهم مع الإبل والرعي.

يقول في جور وظلم قبيلته له :

خَدَّمَتْ أَنَاسَا وَاِتَّخَذَتْ أَقَارَبـــَا لِعُونِيَ وَلَكُـــنَّ أَصَبَّحُوا كَالْعَقَـارِبِ

ينادونني فِي السُّلَّمِ يا اِبْنَ زَبيبَةٍ وَعِنْدَ صَدَّامَ الْخَيْلِ يا اِبْنَ الأطايب[2]

تركت صفة العبودية في نفسه جرحا عميقا يظهر من خلال شعره الذي يذكر فيه نبذ قومه له بالرغم من أنه الدرع الحامي لها .

يقول في معلقته :

إذاً فَاضَ دَمْعُي وَاِسْتَهَلَّ عَلَى خُدِّي وَجَاذِبِنِّي شَوْقَي إِلَى الْعَلْمِ السَّعِي

أَذَكَرُ قُوَّمِي ظَلَمَهُـــمْ لِي وَبَغِيَّهُـــمْ وَقْلَةً انصافي عَلَى الْقُرُبِ وَالْبُعـْدِ

بيْتُ لَهُمْ بِالسَّيْفِ مَجْـــدَ مُشِيـــدَا فَلَمَّا تَنَاهَى مُجِدُّهُمْ هَدَّمُوا مَجْدَي[3]

---

[1] – نقلا عن شرح ديوان عنترة، ص: 04.

[2] – الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص: 35.

[3] – المصدر نفسه،ص:52.

فهو يذكر ظلم قوم لطالما كان عونا لهم في الشدائد وبذلك يتعجب بعدم انصافهم له، لكن كل هذه الإساءة وعدم الاعتراف بالجميل له ولانتصاراته لم يقابلها بالمثل بل زادته تخلقا وحبا لقبيلته وذويه فكان مخلصا لأبويه يتحمل الأذى في سبيلهما، فإذا ضربه أبوه أدعن له وقال كلمة الطاعة:"العبد عبدكم والمال مالكم"[1]

فهو بالرغم من إساءة أبيه له وعدم اعترافه به إلا بعد كبر لكن ذلك لم ينقص من احترامه وحبه له. "كما كان صادقا محبا لإخوته فإذا رآهم يئِنون تحت نير العبودية افتعل الحوادث، والمناسبات حتى ينجيهم من ذل العبودية ويلحقهم بمواكب الأحرار، ثم يعطف عليهم ويجود عليهم بما ملكت يده فهو لا يكاد يمسك إبلا ولكن يعطيها إخوته ويقسمها فيهم"[2]

فحبه لأبويه لا يقل أهمية عن حبه لإخوته، حيث كان يفتعل الحوادث للدفاع عنهم وحمايتهم وتحريرهم من قيود العبودية، فكان كريم العطاء معهم يمدهم بما كسبت يداه فهو كريم ككرم العرب في الجاهلية.

ويقول فيه "طه حسين" في كتاب "حديث الأربعاء": "كان حلو النفس، رقيق القلب، قوي العاطفة، جاءه ذلك من أنه عز بعد ذلة، وتحرر بعد رق، فهو قد تألم في طفولته وصباه واحتمل الأذى في شبابه، هذا الذل يداخل النفس ويختلط بها اختلاطا فيصفي عواطفه تصفية ويلطف مزاجه تلطيفا"[3]

فعنترة بن شداد لم ينل حريته إلا بعد ذل وعبودية دامت زمنا طويلا وهذا ماجعله يتألم في صباه ويعيش مذلولا ومنبوذا بين أهله وذويه، كما احتمل القطيعة والأذى في شبابه واتخذ من أخلاقه الحميدة وعفة نفسه وكرمه في العطاء وسيلة لدفع المذلة عن نفسه فكان قوي العاطفة محبا لغيره بالرغم من جفائهم.

كما نجد في عنترة بن شداد معنى الفحولة العربية الكاملة، وفي ذلك يقول "طه حسين": "فهو رقيق دون ان تنتهي به الرقة إلى الضعف، وهو شديد دون أن تنتهي به الشدة إلى العنف، وهو صاحب شراب، دون أن ينتهي به السكر إلى ما يفسد الخلق، والمروءة، وهو

---

[1]– شرح ديوان عنترة، ص:43.

[2]– المصدر نفسه، ص: 43.

[3]– طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف، مصر، ج1،ط14، 1925، ص: 150.

صاحب صحو دون أن ينتهي به الصحو إلى التقصير، كما ينبغي للرجل الكريم من العطاء والندى، وهو مقدم إذا كانت الحرب وهو عفيف إذا قسمت الغنائم".[1]

فكل صفاته هذه لا إغراق فيها، فهو يأخذ بالحسن أكثر منه بالسيء، فكان خلوقا، كريما فلم تقتصر قوته على قوة الجسم واستعمال السلاح، بل امتزجت بأخلاق حميدة من شأنها جعله فارسا عفيفا، فهو إذا شرب الخمرة لا يكثر منها، ولا يجعلها وسيلة للإنقاص من قيمته وعرضه، كما أن إقدامه في الحرب ليس من أجل كسب الغنائم بقدر ما هو رغبة في نيل الحرية، كما أن النظر في أشعار عنترة تجعلنا مبهورين بأخلاقه الكريمة ومثوله العالية وفي ذلك يقول "طه حسين": "فهو مع فروسيته وبدله لنفسه في سبيل قومه سمح السجايا، سهل المخالطة والمعاشرة، لا يبغي على غيره ولا يحتمل البغي، ولا يظلم ولكنه لا يستكين للظلم فإن ظلم تحول كالإعصار العاصف حتى يأتي على ظالمه، وقد يشرب الخمر ولكنها لا تفسد مروءته وإذا دعاه داعي المكرمات لبى بادلا كل ما يملك من طيب نفس".[2]

يذكر "طه حسين" خصال عنترة الحميدة التي قلما وجدت في شعراء وفرسان الجاهلية فهو سهل المخالطة إذا لم يظلم، لكن إذا ظلم بغير حق كان رده أقوى وأظلم من عدوه كما أن شربه للخمرة لا تنقص من أخلاقه ولا تذهبها بل إن محامد أخلاقه تبقي على مروءته.

ويعد عنترة من أهم أعلام وشعراء الجاهلية الذين علا صيتهم ولا يزال رمزا للقوة والشجاعة والعفة والخلق الكريم إلى يومنا هذا، وتضرب بشجاعته وحنكته الأمثال.

3. العبودية:

من أهم الملامح التي برزت في حياة عنترة بن شداد أنه كان عبدا مغمورا يمضي جل وقته مع الإبل في مراعيها، لذا كانت حياته في معزل عن الشهرة بين الناس ، فقد عاش في قبيلته ذليلا منبوذا من طرف أفرادها لأن النظام القبلي عند العرب يقضي في الهجين أن يعيش على العبودية حتى ترفع عنه باعتراف الوالد، وكون عنترة كان من أمة حبشية سوداء يقال لها زبيبة فقد نسب لها و"كانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبده"[3]

---

[1] – طه حسين، حديث الأربعاء ، ص:.150

[2]– المرجع نفسه، ص: 371.

[3]- شرح ديوان عنترة، ص: 36.

وقد استمرت عبوديته فترة من الزمن عانى فيها الأمرين : الأول عدم اعتراف والده به والثاني إذلال قبيلته له.

وما زاد من حدة عبوديته سواد لونه الذي ورثه من أمه حيث كان "أحد أغربة العرب وهم ثلاثة : عنترة، وأمه زبيبة وإليها ينسب وكانت سوداء ،و خفاف بن عمير الشريدي من بني سليم و أمه ندبة و إليها ينسب و كانت سوداء والسليك بن عمير السعدي وأمه سلكه، وإليها ينسب وكانت سوداء".[1]

فكان سواد لونه سببا في عدم اعتراف قبيلته به، وكثيرا ما عير بسواده، وسواد أمه وإخوته.

لكن عبوديته هذه لم تنقص من عزيمته وإرادته لنيل حريته حيث كان على استعداد دائم لحمل راية الحرية، إذ لم يقابل جفاء وظلم قبيلته التي عيرته بسواده ونسبه بالسواء، حيث كان على جل رأس معاركها وأبدى شجاعة وإقداما فمدها بالكثير من الانتصارات ، وذلك من أجل فرض حريته التي لم ينلها إلا بعد شق الأنفس وبذل الكثير من الجهد والتضحيات.

4. الحريـــة:

عاش عنترة بن شداد زمنا طويلا من العمر ينسب لغير نسبه الأبوي وقد ترك ذلك أثرا في نفسه وتكوينه، فلم يحتل بذلك مكانة في القبيلة إلا بعد اعتراف والده به وذلك بعد أن كبر.

ومن هنا نلمس معاناة عنترة بن شداد، فبالرغم من أصوله العريقة بنسبه لوالده إلا أنه عاش عبدا منبوذا ومرفوضا.

وقد وردت روايات مختلفة وكثيرة بخصوص نيله لحريته أبرزها حديث: "عنترة أن أمه كانت أمة حبشية تدعى زبيبة، فوقع عليها أبوه فأتت به، فقال لأولاده أن هذا الغلام ولدي قالوا كذبت أنت شيخ قد خرفت تدعي أولاد الناس، فلما شب قالوا له اذهب فارع الإبل والغنم واحلب وصر، فانطلق يرعى وباع منها ذودا واشترى بثمنه سيفا ورمحا وترسا ودرعا"[2]، لكن لا يمكن الأخذ بهذه الرواية لأنها أقرب للأسطورة إلى الواقع.

كما نجد سبب إدعاء والد عنترة له أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم بني عبس فأصابوا منهم فتبعهم العبسيون وقاتلوهم، وعنترة فيهم، فقال له أبوه:" كر يا عنترة فقال عنترة العبد لايحسن الكر، إنما يحسن الحلاب والصر، فقال له كر وأنت حر، فكر وهو يقول:

---

[1] - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ص:251.

[2] – الخطيب التبريزي،شرح ديوان عنترة، ص: 08.

كُلَّ امرئ يَحْمِي حُرُّهُ أَسودَهُ وَأُحَمِّرُهُ

والواردات مسفره".[1]

كان عنترة بن شداد في نظر أبيه عبدا لا يحسن إلا الحلاب والصر ذلك أن العرب في الجاهلية كانت تصر ضروع الحلوبات برباط ثم ترسلها إلى المراعي سارحة، لكن عند حاجة قبيلته له سارع إليها خاصة وأن أباه وعده بنيل بحريته، فقاتل يومها قتالا حسنا استنفذ فيه ما كان بأيدي عدوه، فدعاه أبوه بعد ذلك وألحقه بنسبه، شجاعة عنترة بن شداد وصبره على المحن والصعاب وانتصاره لقبيلته مكنته من الوصول إلى حلمه بنيل الحرية والخلاص من نسبته لأمه .

ويمكن ترجيح هذه الرواية لأنها أقرب إلى الواقع، خاصة وأن شجاعة وقوة عنترة بن شداد لايمكن اغفالها والشك فيها و من خلال ما سبق يمكن القول أن الروايات التي تحدثت عن حرية عنترة بن شداد كثيرة، وكلها تجمع عن أن نيل عنترة للحرية لم يأت إلا بعد جهد جهيد وبذل الكثير من التضحيات.

5. الفروسية:

كان عنترة بن شداد من فرسان العرب المعدودين وأبطالها، ولم يلقب عن عبث بعنترة الفوارس،يقول جواد العلي :" وذكر أنه كان من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده"[2] فقد فرق بين الشجاعة والتهور كما شهد عنترة حرب داحس والغبراء فحسن فيها بلاؤه وحمدت مشاهده وقد أظهر قوته وشجاعته التي لم تخلو من سلوكات حميدة ، فكان مقداما دون تهور وتكبر.

لقد كانت حرب "داحس والغبراء" الميدان الذي ظهرت فيه فروسيته وشجاعته ، وأخبار هذه الحرب تقترن مع كثير من المواقع والأيام، ومنها يوم "الفروق" حيث اصطدمت عبس بتميم ودارت رحى الحرب بينهما فأقدم عنترة في هذه المعركة وقتل معاوية بن نزال وافتخر بقومه حين قال: "كنا مائة لم نكثر فنتكل ولم نقل فنذل"[3]،فرغم قلة عددهم إلا أنهم انتصروا ولم يذلوا.

---

[1] – ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ص: 250.

[2] - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد،بغداد،ج9،ط2، 1993، ص:560.

[3] –الخطيب التبريزي،شرح ديوان عنترة، ص:08.

كذلك ذكر معركة ذات "الجراجر" بين ذبيان وحليفاتها من جهة وبين بني عبس من جهة أخرى ودام القتال يومين أظهر فيهما عنترة شجاعة لا توصف وقوة لا تقهر وعزيمة لا ترد".[1]

كما أغارت طيء على بني عبس، والناس خلوف ، وعنترة في ناحية من إبله على فرس له، فأخبر، فكر وحده واستنقد الغنيمة من أيديهم وأصاب رهطا ثلاثة أو أربعة".[2]

كل هذه المعارك تثبت فروسية عنترة وتميزه في القتال فهو فارس مقدام لا يهاب قوة عدوه حتى وإن كان وحيدا في رحى الحرب، وإن كنا نعتقد بمبالغة الرواة خاصة في فكرة أن يتغلب لوحده على جيش.

ولا نكتفي بهذا فقط بل الخبر البارز عن شجاعة وفروسية عنترة لما قيل له:"أنت أشجع الناس وأشدها، قال : لا، قيل: فيم إذا شاع لك في هذا الناس؟ قال : كنت أُقدم إذا رأيت الإقدام عزما وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما ولا أدخل موضعا لا أرى لي فيه مخرجا، وكنت أعتمد الضعيف فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثنى عليه فأقتله".[3]

فالفارس الجاهل الذي أبلى قوة لا تقهر في حروب قبيلته لا يدخل حربا إلا وخرج منها منتصرا ذلك أن الفروسية عنده لم تنشأ عبثا وإنما هي نتيجة لخبرته الطويلة التي اكتسبها في ميدان القتال.

فشجاعته وقوته جعلت من فرسان وأبطال القبائل الأخرى تحسب له ألف حساب قبل مجاراته، وفي ذلك قال قول الفارس الشجاع عمرو بن معد يكرب رضي الله عنه "ما أبالي ما لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حرا ها وهجيناها". [4]

ويقصد بالحرين عامر بن الطفيل، وعتبة بن الحارث وبالهجينين عنترة والسليك بن السلكة.

فعمرو بن معد لا يخاف ولا يهاب فرسان العرب كلها لكنه استثنى منهم حراها وهجيناها لصلابتهما وعزمها خاصة وأن عنترة له صيت في قبيلته و تهابه كثير من القبائل الأخرى.

---

[1]- المصدر نفسه، ص:08.

[2] - شرح ديوان عنترة، ص: 40

[3]- شرح ديوان عنتر، ص: 48

[4] - المصدر نفسه، ص:41.

فقد افتخر به الحُطَيْئَة أمام عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– بقوله :" وكنا نقدم إقدام عنترة" [1]، بالإضافة إلى بطولاته وتميزه في حروب قبيلته إلا أنه لم يغفل عن مساعدة وإعانة ونجدة حلفائه من القبائل الأخرى وبيان ذلك أنه "حصل خلاف بين عنترة وقبيلته من أجل إبل أخذها من حليف لهم و أبى أن يردها عليه فرحل عن قبيلته وجاور بني جديلة، وحين حصلت معركة بين جديلة وبين ثعل شارك عنترة بجانب حلفائه" [2] فهذه هي روح الفروسية التي تميز بها شاعرنا والتي تقتضي إعانة الجار والوقوف في صف قبيلة طلبت حمايته أو جواره كما لو أنها قبيلته، فروح الانتماء عنده تعدت قبيلته إلى قبائل أخرى، وهذا ما يجعله مثلا أعلى للوفاء و الإخلاص، فعنترة هنا ألحق فروسيته وشجاعته بخصال حميدة تقتضي مساعدة الضعيف وقد كان هذا عرفا عند القبائل العربية ولم يتفرد بها عنترة ،وقد روى عنه أبو عمر الشيباني "أن عبسا غزت بني تميم وعليهم قيس بن زهير، فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم، فوقف لهم عنترة ولحقتهم كبكبة من الخيل فحامى عنترة عن الناس، فلم يصب مدبر وكان قيس بن زهير سيدهم فساءه ما صنع عنترة يومئذ فقال: والله ما حمى الناس إلا ابن السوداء".[3]

ورغم كل هذه الحسنات التي أوردناها إلا أنها لم تقف حاجزا أمام تعييره بنسبه، وهو ابن الأمة السوداء، لكن ذلك لم ينقص من عزيمته وقوته وتمسكه بروح التحدي وأخلاقه الحميدة حيث قال:

" وَفَقْدُ أَبَيْتَ عَلَى الطَّوى وَأُظِلُّهُ حَتَّى اَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المأكل ".[4]

فالجوع عنده حتى الموت أهون من أكله الطعام الخبيث وهذا دليل على كرامة ذاته.

وتجعلنا فروسية عنترة للتطرق في الحديث عن أفراسه، لما لها صلة بفروسيته، حيث ذكرها في كثير من قصائده وهي ثلاثة أفراس :

أولها: "الأبجر من خيل غطفان بن سعد قال عنه ابن الكلبى: فرس عنترة(بن شداد العبسي) وهو الذي يقول فيه:

---

[1]- شرح ديوان عنتر، ص:43.

[2]- المصدر نفسه، ص: 31 ، 32.

[3]- شرح ديوان عنترة، ص:42.

[4]- المصدر نفسه، ص:42.

" لَا تَجْعَلِي اِشْدِدْ حِزَامَ الأبجر إِنَّي إذاً الْمَوْتَ دَنَّا لَمْ أُضْجَرْ
ولَوْ أُمِنٌ النفْسَ بالتَأَخُّرِ.[1]

وثاني أفراسه الأدهم من خيل غطفان بن سعد وهو الذي يقول فيه ابن الكلبي:

" يَدْعُونَ عَنْتَرَةً وَالرِّماحَ كَأَنَّهَا أَشُطَّانُ بِئْرٍ فِي لبانِ الأدْهَمِ " [2]

فقد كان أعداؤه يستهدفون صدر فرسه برماحهم لما لهذه الأفراس من منزلة عنده فقد كانت أحب الأفراس إلى قلبه.

وثالثها الأغر وقد ذكره ابن قتيبة فقال:" وقال عنترة يذكر فرسه الأغر وإحسان إليه:

أَرَّاهُ أَهِلَّ ذَلِكَ حِينَ يَسْعَى رعاء النَّاسَ فِي طِلَبِ الْحَلُوبِ " [3]

إن حب وإحسان عنترة بن شداد لم تقتصر على قبيلته فحسب بل طالت أفراسه التي كانت عونا له في المعارك والغارات، فكان وجعها من وجعه وآلامها من ألمه، حتى وصل به الأمر إلى البكاء عليها فكانت علاقته بها علاقة الجسد بالروح.يقول في ذلك:

" مازلت أَرْمِيَهُمْ بِثُغَرِ نَحْرِهُ وَلبانَهُ حَتَّى تُسَرْبِلَ بِالدَّمِ " [4]

أي انه لا يزال يقتل أعداءه التي تسببت بنحر فرسه حتى عم الدم جل لباسه.

6. الوفاة:

لا يوجد شاعر جاهلي وقع الخلاف في أخباره كما وقع ذلك في أخبار عنترة بن شداد،فتعددت بذلك الروايات واختلفت في ذكر موته لكن أقرب رواية إلى الواقع هي ما أوردها صاحب الأغاني بسنده عن المفضل ابن الكلبي قالا:" أغار عنترة على بني نبهان من طيء، فاطرد لهم طريدة، وهو شيخ كبير فجعل يرتجز وهو يطردها ويقول: آثار ظلمان بقاع محدب. قال: وكان وزر بن جابر النبهاني في فتوة، فرماه، وقال: خذها وأنا ابن سلمى فقطع مطاه فتحامل بالرمية حتى أتى أهله فقال وهو مجروح:

" وان اِبْنَ سلمى عِنْدَه فَاِعْلَمُوا دَمَي هَيْهَاتَ لَا يَرْجَى اِبْنُ سلمى وَلَا دَمَي.
إذاً مَا تَمَشِّي بَيـْنَ أَجْيــَالْ طَـيء مَكَانَ الثُّرَيَّا لَيْسَ بالمتهَضمِ ".[5]

---

[1]– شرح ديوان عنترة ، ص: 44.

[2]–أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص: 142.

[3]– المصدر نفسه ، ص:45.

[4]– المصدر نفسه، ص:80.

[5]- نفسه، ص:49، 50.

الفصل الأول

الفصل الأول

النقد الثقافي: النشأة و التطور

1- مفهوم الثقافة

2- الدراسات الثقافية

3- مفهوم النقد الثقافي

4- مفهوم النسق الشعري(لغة، اصطلاحا)

5- شروط النسق الثقافي

5- الفرق بين النسق الشعري والنسق الثقافي

2تمهيـد:

اتخذ النقد الثقافي مكانة كبيرة في مجال الدراسات الأدبية فأصبح علامة هامة وفارقة في تحليل النصوص الأدبية والثقافية، وذلك لاتساع مجاله المعرفي خاصة وأن دوره الأساسي يتضح من خلال فهم الثقافة بأشكالها المعقدة والمركبة ودراستها وتفسيرها وكذا نقد المستهلك الثقافي وبذلك الكشف عن أنساق ثقافية مضمرة ومتخفية تتحكم في تصوراتنا ومعتقداتنا وكذا من خلال العلاقات الاجتماعية أو البناء الاجتماعي ، فأصبحت هذه الأنساق الثقافية بمثابة مرآة عاكسة لطريقة تفكير مجتمع ما وكذا السياق الذي أنتجه تفكيره من خلال بيان توجهاته وتصوراته.

1- مفهوم الثقافة:

عند محاولتنا تحديد مفهوم الثقافة نجد أنفسنا أمام عدد كبير من التعريفات المختلفة، فمفهوم الثقافة ذو طبيعة تراكمية مستمرة، فهي ليست وليدة عقد أو عدة عقود بل هي ميراث اجتماعي لكافة منجزات البشرية ومن أهم التعريفات التي كان لها مكان الصدارة في تعريف الثقافة، تعريف الإنجليزي "إدوارد تايلور" الذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه "الثقافة البدائية" والذي يذهب فيه إلى أن الثقافة هي "ذلك المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات،والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في مجتمع"[1]

فالثقافة عند تايلور هي ذلك الكل المعقد الذي تصب فيه مختلف العادات والمعتقدات الفنون والأعراف التي يصنعها الإنسان نتيجة لتفاعله مع أفراد مجتمعه.

والثقافة كذلك عبارة عن عناصر معنوية ذهنية تتضمن مختلف الأفكار والمعتقدات والاتجاهات التي يتعلمها الفرد من خلال اتصاله بالواقع الاجتماعي.

أما العالم الاجتماعي "روبرت بيرستد" فيعرفها بقوله:" الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله، أو نمتلكه كأعضاء في مجتمع"[2]

فهي ظاهرة مركبة تتكون من عناصر فكرية ذهنية وأخرى سلوكية مادية.

---

[1] - ادوارد تايلر ومجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة ،تر: علي سيد الصاوي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط،1997،ص09.

[2]- المرجع نفسه، ص:09.

وقد حظي مفهوم الثقافة باهتمام من قبل المفكرين العرب أمثال "مالك بن نبي" حيث خصص لها كتاب بعنوان "مشكلة الثقافة"، وتحدث عن هذا المصطلح بالشرح والتحليل من خلال ما توصل إليه من أفكار وتصورات.

وقد توصل "مالك بن نبي" إلى أن الثقافة :" مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته (كرأس مال أولي) وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه".[1]

فالثقافة بهذا المفهوم هي المحيط أو الوعاء الذي يصب فيه ويضع من خلاله الفرد طباعه وشخصيته فتعكس بذلك نمط حياته وحضارته، فهي بذلك انعكاس لشخصية الإنسان وأفكاره وقيمه لكن دون التملص من روح الجماعة، فهي تنظيم يقوم على التفاعل الاجتماعي كما تميز بالدوام والاستمرارية عبر الزمان من ولادته فهي قادرة على البقاء حتى بعد انتهاء حياة الشخصيات التي اسهمت في بنائها.

أما "سلامة موسى" فقد أولاها اهتماما واسعا وكبيرا خاصة في كتابه "الثقافة والحضارة" وقد تأثر بالمدرسة الألمانية في ربط الثقافة بالأمور الثقافية الذهنية والحضارة المتعلقة بالأمور المادية، فجاء في تعريفه بأن "الثقافة هي المعارف والعلوم والآداب والفنون التي يتعلمها الناس ويتثقفون بها وقد تحتويه الكتب ومع ذلك هي خاصة بالذهن". [2]

فالثقافة عنده هي إدراك الفرد والمجتمع للعلوم والمعرفة في شتى مجالات الحياة، وكلما كان إدراكه ووعيه الثقافي بالأشياء واسعا كلما أصبح عنصرا بناءا في المجتمع.

إذن فالثقافة من المنظورين الغربي والعربي هي الكل المركب والمعقد، الذي يشتمل على العلم والمعرفة والعادات والقيم والقانون والفنون التي يكتسبها الفرد كعنصر فعال في المجتمع ويشمل كذلك الجانبين الذهني والمادي.

2-الدراســات الثقافية:

ارتبطت الدراسات الثقافية بالتحولات المعرفية والمنهجية التي شهدتها أوربا في نهاية السبعينات حيث عرفت الساحة الأدبية والنقدية بالإضافة إلى المناهج القديمة ظهور عدة مناهج واتجاهات جديدة ساهمت في فهم النص الأدبي والغوص في ثناياه، ومن بين هذه النظريات والاتجاهات

[1]- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، مطبعة دار الجهاد، بيروت، ط1، 1995، ص:73.

[2]- سلامة موسى، الثقافة والحضارة، مجلة الهلال، دع، القاهرة، دط،1927 ، ص:52.

الحديثة نجد: ما بعد البنيوية، ما بعد الحداثة وما بعد الاستعمارية والنقد النسوي والدراسات الثقافية هذه الأخيرة تعتبر مشروعا حداثيا تزامن وظهور التطورات الفكرية في الأدب.

وفي ضوء هذه التطورات والتغيرات التي مست العالم في جميع ميادينه حاولت الدراسات الثقافية إيجاد طريقة جديدة ومبتكرة تساعد في قراءة وفهم النصوص الأدبية لا باعتبار ما تحققه هذه النصوص من أدبية وإنما باعتباره ممارسة خطابية .وحسب مفهوم الدراسات الثقافية ليس النص سوى مادة خام.

حيث "كسرت (الدراسات الثقافية) مركزية النص ولم تعد تنظر إليه بما أنه نص، ولا إلى الأثر الاجتماعي الذي قد يظن أنه من إنتاج النص، لقد صارت تأخذ النص من حيث ما يتحقق فيه وما يكتشف عنه من أنظمة ثقافية".[1]

فالنص من منظور الدراسات الثقافية هو مجرد أداة ووسيلة تكشف لنا الأنظمة الذاتية والثقافية المشكلة للنص الأدبي، فهي لم تنظر إلى النص من منظوره الاجتماعي فقط بل كسرت خصوصيته وكشفت عن أنظمته الثقافية.

ويقول "حفناوي بعلي" في السياق نفسه وحسب مفهوم الدراسات الثقافية "ليس النص سوى مادة خام يستخدم لاستكشاف أنماط معينة من مثل الأنظمة السردية والإشكاليات الإيديولوجية وأنساق التمثيل وكل ما يمكن تجريده من النص، لكن النص ليس هو الغاية القصوى للدراسات الثقافية وإنما غايته المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي في أي تموضع كان بما في ذلك تموضعها النصوصي".[2]

فالنص الأدبي ليس سوى قاعدة أساسية تكشف لنا عن أنظمة ثقافية من خلال فك شفرات ورموز تلك النصوص وبذلك الكشف عن مختلف الأنظمة السردية والأنساق الثقافية."

وليست المسألة بقراءة النص في ظل خلفيته التاريخية ولا في استخدامه للإفصاح عن الحقب التاريخية فالنص والتاريخ منسوجان ومدمجان معا كجزء من عملية واحدة"[3]، فالدراسات الثقافية لا تهدف إلى قراءة النص في ظل خليفته التاريخية والاجتماعية ذلك أن النص هو وثيقة تاريخية واجتماعية لا يمكن أن ينسلخ منها وإنما هدفها هو استخراج الأنظمة الثقافية ذلك أن الثقافة

---

[1]- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ،الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف ، بيروت، الجزائر ، ط1 2007، ص:21.

[2]- المرجع نفسه ، ص: 21.

[3]- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ط3،2005 ص:17.

تصنع،وتشكل التاريخ فهي مرآة عاكسة له، وفي ذلك يقول عبد الله الغدامي:" الدراسات الثقافية تركز على أن أهمية الثقافة تأتي من حقيقة أن الثقافة تعين على تشكيل وتنميط التاريخ". [1]
فالثقافة هي التي تصنع التاريخ و تشكله.

ونظرا لاتساع مفهوم الثقافة وانفتاحها على كل شيء فإن حقل الدراسات الثقافية، يؤدي وظيفته من خلال الاعارة من مختلف فروع المعرفة مثل: علم الاجتماع والأنتربولوجيا، وعلم النفس واللسانيات وعلم العلامات وعلوم الاتصال ...

"ذلك أن الدراسات الثقافية ليست نظاما، وإنما هي مصطلح تجميعي لمحاولات عقلية مستمرة ومختلفة تنصب على مسائل عديدة، وتتألف من أوضاع وأطر نظرية مختلفة ومتعددة".[2]

فنطاق الدراسات الثقافية واسع ومتعدد شمل جميع فروع المعرفة خاصة وأنه محاولة عقلية مستمرة لكشف مختلف الممارسات الثقافية التي شكلتها مختلف العلاقات السياسية والاجتماعية.

كما أنها إفراز لجهود سابقة أنتجها العقل الجمعي. كما ذكر "إدريس خضراوي" في كتابه" الأدب موضوعا للدراسات الثقافية" بان "الدراسات الثقافية ليست نظرية أو نموذجا علميا قائما على مفاهيم يحكمها التجانس و الانتماء انطولوجيا إلى حقل علمي محدد وإنما هي اتجاه في القراءة يستفيد من كل المدارس النقدية و الاتجاهات الفكرية خصوصا تلك التيارات الفكرية والنقدية التي تعبر عن حس المعارضة و المقاومة".[3]

فهي اتجاه مخالف للاتجاهات و المناهج السابقة لكن هذا لم يمنعها من الاستفادة منها و لكن بطريقة عصرية تتماشى و هذه الدراسة خاصة و إن لكل عصر تطوراته و تغيراته.

كما اهتمت الدراسات الثقافية "بتحليل مختلف أشكال الثقافة ومؤسساتها وأنماط إنتاجها وتلقيها، وإن كان من خيط متين تجمع هذه التوجهات فلعله في كونها تسير في منحنى يساري انتقادي يساءل كثيرا من مسلمات الثقافة الغربية على المستوى الذي تنعقد فيه الصلة بين أشكال الثقافة الاتصالية (من لغة وأدب وفكر وما إليها) من جهة والحياة الاقتصادية والسياسية من جهة أخرى".[4]

---

[1]- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص: 17.

[2] –حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص: 19.

[3]- إدريس خضراوي، الأدب موضوعا للدراسات الثقافية، جذور للنشر، الرباط، ط1، 2007، ص:36.

[4] - ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط3، 2002، ص: 82.

فقد اهتمت الدراسات الثقافية بالعلاقات المكونة للثقافة سواء من جانب انتاجها او تلقيها خاصة وأن الثقافة الغربية ارتكزت في أشكالها واتجاهاتها على الفكر اليساري الماركسي الذي يجعل كل شيء ملك الجميع بعيدا عن تقييد حريات الاخرين سواء من جانب الحياة الفكرية من (أدب ولغة) والحياة الاقتصادية ،والسياسة.

وبذلك كان مجال الدراسات الثقافية واسع شمل جميع أشكال الثقافة، ومن هذه الحقيقة يمكن القول أن:" الدراسات الثقافية عالجت قضايا ملحة في فضاءات ثقافية مختلفة، كالعلاقة بين الثقافة والتحيزات، كما كرست استراتيجياتها للكشف عن التواطؤ الأيديولوجي بين مختلف فضاءات الثقافة"[1].

فكان للدراسات الثقافية دورا هاما وإنجازات متعلقة بفضاءات الثقافة كما كشفت عن إيجابيات ونقائص المؤسسات الثقافية وتواطئها الفكري.

لكن كل هذه الإنجازات لم يجعلها تسلم من بعض العيوب التي وقعت فيها هذه الممارسات لأن هذه الأخيرة إفراز للممارسات البنيوية وبعدها، وهذا ما يجعلنا نتفق مع الرأي القائل بأن الدراسات الثقافية "لم تتجاوز بعد طروحات البنيوية"[2].

إذن تهدف الدراسات الثقافية إلى تناول موضوعات تتعلق بالممارسات الثقافية وعلاقتها بالسلطة، وذلك من أجل معرفة مدى تأثير تلك العلاقات على الممارسات الثقافية، فهي ليست مجرد دراسة سطحية واعتباطية للثقافة وإنما "الهدف الرئيسي لها فهم الثقافة بجميع أشكالها المركبة والمعقدة وتحليل السياق الاجتماعي والسياسي في إطار ما هو جلي في حد ذاته". [3]

كما تحاول الدراسات الثقافية "أن تظهر انقسام المعرفة وتروضه من أجل تجنب الانقسام بين نمطين للمعرفة وأولهما: الضمني وهو المعرفة المبنية على الثقافات المحلية، وثانيها الأشكال الموضوعية للمعرفة والتي يطلق عليها اسم العالمية"[4].

فالدراسات الثقافية اذن اتخذت من "الثقافة" محورا أساسيا وركيزة هامة في دراستها لاحتواءها على عناصر وأشكال مركبة ومعقدة كان لابد من دراستها وتفسيرها سواء كانت هذه المعرفة مبنية على الثقافة المحلية أو على الثقافة العالمية .

---

[1] - -ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي ، ص: 148.

[2] – المرجع نفسه،ص:148.

[3] - حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص:19.

[4] - المرجع نفسه ،ص:19.

بمقدورها الكشف عن علاقات وممارسات الثقافة وكذا مدى تأثيرها على الجمهور، وهذا ما يجعلنا نوافق الرأي القائل بأنها:" ليست مجالا للدراسات عديمة الجدوى، لكنها التزام اتجاه إعادة هيكلة البناء الاجتماعي..... وكذا فهم شكل الهيمنة في كل مكان، وتسعى إلى تغييره، وخاصة في المجتمعات الصناعية الرأسمالية".[1]

فوظيفة الدراسات الثقافية أساسية تسعى إلى فهم العلاقات الاجتماعية التي تتحكم فيها الثقافة بأشكالها المعقدة خاصة في المجتمعات الرأسمالية المتطورة لأن هذه المجتمعات تعيش في ديناميكية مستمرة قابلة للتغيير والتطور، خاصة وأن الثقافة في صراع دائم مع قوى سياسية اقتصادية واجتماعية.

3-مفهوم النقد الثقافـــي:

احتل النقد مكانة كبيرة في مجال الدراسات الأدبية، وأصبح ضرورة حتمية لا غنى عنها في تنمية وفهم وتطوير النص الأدبي، هذا الأخير يعتبر وسيلة لقراءة النص الأدبي والتعمق في ثناياها من أجل فك شفراته ورموزه وتأويلها وقد مر النقد الأدبي بمراحل عدة نلمسها من خلال التطور والتنوع الموجود بين المناهج النقدية التي عرفها، بدءا بالمناهج السياقية فالنصانية وصولا إلى المناهج المعاصرة التي كانت بمثابة القفزة النوعية في، نذكر من ذلك والدراسات الثقافية والنقد الثقافي حيث ركزا على الثقافة باعتبارها مفهوما رئيسيا وركيزة هامة تقوم عليها كل أمة حاول العديد من النقاد والباحثين إعطاء تعريف دقيق وشامل للنقد الثقافي من بينهم "أرثر أيزا برجر" الذي يرى أن "النقد الثقافي نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته فهو مهمة متداخلة مترابطة، متجاوزة، متعددة كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكارا ومفاهيم متنوعة، وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد، وأيضا التفسير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي، وبمقدوره أيضا أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات، ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية الاجتماعية والأنتروبولوجية...، ودراسات الاتصال، وبحث في وسائل الإعلام والوسائل الأخرى المتنوعة التي نميز المجتمع والثقافة المعاصرة. [2]

[1] - حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص:19.

[2] -أرثر أيزا برجر، النقد الثقافي، تر: وفاء إبراهيم و رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1،2003،ص:.30

فالنقد الثقافي حسب "أرثر أيزا برجر" ليس نشاطا بذاته فهو معرفة واسعة تشمل الميادين والمعارف والنظريات الأدبية والثقافية ومختلف الأفكار التي أنتجها مجتمع من المجتمعات المعاصرة أو غير المعاصرة.

كما جاء في كتابه "النقد الثقافي" الذي كان بمثابة المعجم الذي يستقي منه الناقد شروح بعض المصطلحات الغامضة في النقد الثقافي، فهذا الغموض أصبح صفة لصيقة بالنصوص النقدية الثقافية، فتجد نقاد الثقافة عندما يتواصلون مع بعضهم البعض "يتحدثون –بشكل عام– بلغة تميل إلى الغموض، إلى الدرجة التي قد يصفها الإنسان العادي بالرطانة (اللغة الغير مفهومة) حيث تكون صعبة الفهم". [1]

إن صفة الغموض التي طغت على الخطابات والنصوص النقدية جعلت من لغتها لغة صعبة الفهم بعيدة عن فهم الإنسان العادي فحاول بذلك النقاد وبخاصة نقاد الثقافة الغوص في معاني تلك الألفاظ الغامضة وتعريتها.

وأول من استعمل مصطلح "النقد الثقافي" بمفهوم مابعد البنيوي هو فنست ليتش حيث دعا "إلى نقد ثقافي ما بعد بنيوي ليقوم بدور مفقود حسب رأيه، في ميادين البحث المعاصر". [2]

فالنقد الثقافي من الأنشطة والمجالات المعرفية المعاصرة التي كان لها دور كبير في تعرية المخبوء، فهو نقد تجاوز كلا من مقولات البنيوية والحداثة.

في السياق نفسه يرى "حفناوي بعلي" بأن النقد الثقافي يقوم كذلك بدور مفقود في ميادين البحث المعاصرة، فهو لا يدور حول الفن والأدب فحسب "وإنما حول دور الثقافة في نظام الأشياء بين الجوانب الجمالية والأنثروبولوجية بوصفه دورا يتنامى في أهميته، ليس لما يكشف عنه في الجوانب السياسية والاجتماعية فقط، بل لأنه يشكل كذلك النظم والأنساق والقيم والرموز ويصوغ وعينا بها، ومن هنا تتبدى علاقة النقد الثقافي بالأنتروبولوجية الرمزية المقارنة". [3]

فدور النقد الثقافي واسع و شامل يتأتى في تبيان دور الثقافة وعلاقتها بالجوانب الجمالية للأشياء من خلال تعرية الخطابات الأدبية وفك شفراتها ورموزها وبذلك الكشف عن نظم وأنساق مضمرة أوسع من الجوانب السياسية والاجتماعية. فهذه الآنساق المضمرة هي التي تكشف لنا خلفية المجتمع والسياق الذي أنتج تفكيرهم.

---

[1] - أرثر أيزا برجر، النقد الثقافي،ص:31.

[2] - ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص: 306.

[3] - حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص:15.

ويعرف دليل الناقد الأدبي النقد الثقافي بأنه: "نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها".[1]

فالثقافة بأشكالها وشموليتها هي الركيزة الأساسية التي يقوم عليها النقد الثقافي خاصة وأن الثقافة تعبر عن صورة أمة من الأمم وتعكس لنا توجهاتها وتصوراتها.

وقد برز النقد الثقافي عند الغرب مع نهايات القرن العشرين ثم استقبله العرب بخاصة ما قام به عبد الله الغذامي في كتابه "النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية" عام 2000 والذي حاول من خلاله معالجة جوانب النقد الثقافي بالإضافة إلى إسهامات الكاتب الفلسطيني "ادوارد سعيد" صاحب كتابا "الاستشراق" و"الثقافة والإمبريالية". إذ أن ماقدمه "إدوارد سعيد" لا يحسب على العرب بقدر ما يحسب على الغرب.

يقول "عبد الله الغدامي" في تعريفه للنقد الثقافي:" هو فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول (الألسنية) معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي، وما هو كذلك سواء بسواء، من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي الجمعي، وهو لذا معني بكشف الجمالي كما هو شأن النقد الأدبي، وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي، وكما أن لدينا نظريات في الجماليات، فإن المطلوب إيجاد نظريات في لا (قبحيات) لا بمعنى البحث عن جماليات القبح، مما هو إعادة صياغة وإعادة تكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي وتعزيزه وإنما المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي وللحس النقدي".[2]

فوظيفته النقد الثقافي عند "عبد الله الغذامي" استخراج الأنساق المضمرة المشكلة للخطاب الثقافي على خلاف النقد الأدبي الذي يعني بكل ما هو جمالي مهملا بذلك الخطاب الجوهري المكون لهذه الانساق وحركتها في الخطاب النقدي فالأنساق هنا هي بؤرة العملية النقدية من خلال استخدام أدوات إجرائية تكشفها للقارئ أو المتلقي وهذه الأدوات يستخدمها النقد الثقافي للغوص والكشف عما وراء النص الأدبي.

[1] - ميجان الرويلي و سعد البازعي،ص:305.

[2] –عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص:83، 84.

اهتم النقد الثقافي باختلاف انتمائه للثقافة الغربية أو العربية بالخطابات المضمرة الكامنة داخل النص الأدبي وبذلك كانت وظيفته الأساسية هو تعرية واستخراج تلك النظم والانساق الثقافية ودراستها في مختلف سياقاتها الاجتماعية والسياسية والتاريخية والثقافية والمؤسساتية سواء كانت تلك الانساق مهيمنة أو مهمشة في الخطاب النقدي، فارتكز على الثقافة كمصطلح أساسي في تشريح وتفكيك ونقد تلك الأنساق الثقافية.

4-مفهوم النسق الثقافي:

أ- لغة :

جاء في لسان العرب أن : النسق من كل شيء ماكان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء وقد "نسقته تنسيقا، ويخفف ابن سيده نسق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظمه على السواء وانتسق هو وتناسق والاسم النسق، وقد انتسق هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحدا، وروي عن عمر بن الخطـاب-رضي الله عنه- انه قال: ناسقوا بين الحج والعمرة قال شمر معنى ناسقوا وواتروا، يقال: ناسق بين الأمر بين أي تابع بينهما وثغر نسق إذا كانت الأسنان انتظامها في الثنية وحسن تركيبها.

والنسق العطف على الأول والفعل كالفعل وثغر: نسق وخرز، نسق أي منتظم.

قال أبو زيد بجيد ريم كريم زانه نسقُ يكاد يلهبه الياقوت إلهابا، والتنسيق ، التنظيم، والنسق ما جاء من الكلام على نظام واحد، والعرب تقول لطور الحبل إذا امتد مستويا خذ على هذا النسق أي على هذا الطيور والكلام .

إذا كان منسجما قيل له نسق حسن، قال ابن الأعرابي "انسق الرجل إذا تكلم نسجما، والنسق كواكب مصطفة خلف الثريا، يقال لها الفروذ"، ويقال: رأيت الرجل نسقا من الرجال والمتاع، أي بعضها إلى جنب بعض.

قال الشاعر: مستوسقات عصبا ونسقا".[1]

إذن فالمفهوم اللغوي للنسق هو مجموعة من الأجزاء المتماسكة والمتكاملة حركيا ومتكافئة وظيفيا ومتناغمة ايقاعيا، ويتحقق النسق من خلال تكامل وظائف أجزائه وترابطها.

[1]- ابن منظور، لسان العرب،ص: 119.

ب- **اصطلاحا :**

حاول عبد "عبد الله الغدامي" تعريف النسق من خلال تحديده للقيم الدلالية والسمات الاصطلاحية الخاصة به.

حيث يرى أن النسق يتحدد عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر، ويكون ذلك في نص واحد أو في ما هو في حكم النص الواحد، ويشترط في النص أن يكون جماليا، وأن يكون جماهيريا، ولسنا نقص الجمالي حسب الشرط النقدي المؤسساتي، وإنما الجمالي هو ما اعتبرته الرعية الثقافية جميلا".[1]

فوظيفة النسق عنده لا تحدثه إلا بتعارض والتقاء نسقان متعارضان متناقضان أحدهما ظاهر والآخر مضمر، والمضمر هو الذي تحدد ويكشف الظاهر، ويشترط في هذا الخطاب الثقافي أن يكون جماليا بحسب رؤية الفئة الثقافية فما تعتبر هذه الفئة جميلا فهو جميل وإما اعتبرته قبيحا فهو قبيح ويكون له تأثير جماهيري.

ويواصل "عبد الله الغذامي" تعريفه للأنساق الثقافية فيقول "هي أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق وكلما رأينا منتوجا ثقافيا أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع، فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر الذي لابد من كشفه والتحرك نحو البحث عنه، فالاستجابة السريعة والواسعة تنبئ عن محرك مضمر يشبك الأطراف ويؤسس للحبكة النسقية وقد يكون ذلك في الأغاني وفي الأزياء أو الحكايات والأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت، كل هذه وسائل وحيل بلاغية/ جمالية تعتمد المجازة والتورية، وينطوي تحتها نسق ثقافي في المضمر".[2]

فالأنساق الثقافية أنساق تاريخية تتصف بصفة الاستمرارية وتتحدد من خلال الاستهلاك الجماهيري، فكلما كان الخطاب الثقافي له تأثير جماهيري كلما تأكدنا بأنه يخفي من وراءه انساقا ثقافية مضمرة، وتبرز هذه الانساق الخفية من خلال أدوات إجرائية تبرز الجانب الجمالي

[1] - عبد الله الغدامي، النقد الثقافي: قراءة في الانساق الثقافية العربية، ص:77.

[2] - المرجع نفسه، ص : 79 ، 80.

والبلاغي للنص الأدبي من تورية، ومجاز، ومؤلف مزدوج، فالنسق المضمر أصلي قينا يكشف وتحدد النسق الظاهر.

5-شروط النسق الثقافي:

حاول "عبد الله الغدامي" من خلال كتابه "النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية" إبراز شروط النسق الثقافي والتي من خلالها يتم الكشف عن حيل الثقافة وبخاصة حيلة (الجمالية) فعمد إلى تحديد "مواصفات الوظيفة النسقية في:

أ- نسقان يحدثان معا وفي آن واحد، في نص واحد أو في ما هو بحكم النص الواحد.

ب- يكون المضمر منهما نقيضا ومضاد للعلني، فإن لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي.

ت- لابد أن يكون النص جميلا ويستهلك بوصفه جميلا بوصف الجمالية هي أخطر جيل الثقافة لتمرير أنساقها .

ث- ولابد أن يكون النص جماهيريا ويحضى بمقروئية عريضة وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي"[1].

فالوظيفة النسقية تتحدد من خلال هذه الشروط الأربعة وإذا اختل شرط منها لا يمكن إدماجها وإدراجها في مجال النقد الثقافي، فهي ركائز يتم من خلالها التمييز بين أصناف الخطاب.

كما أن النسق الثقافي ذو "طبيعة سردية، يتحرك في حبكة متقنة، ولذا فهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائما ويستخدم أقنعة كثيرة وأهمها -كما ذكرنا- قناع الجمالية اللغوية، وعبر البلاغة وجمالياتها.

تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه المظلة الوافرة" [2] فالنسق الثقافي نسق مضمر متخفي تحت قناع اللغة الجمالية وبلاغتها وما على الناقد إلا الغوص والكشف عنه والذي يحتوي على ثقافة ذكية تعبر عن إيديولوجية معنية .

في مقابل هذه التعريفات التي عمد إليها "عبد الله الغدامي" في تفسيره للنسق الثقافي تعريف "يوسف عليمات" الذي يرى بأن النسق الثقافي:" مساءلة واعية بفعل الفحص القرائي الذي يؤديه الناقد المختلف، ومن ثم التأكيد على شكلية الإفرازات أو النتاجات الثقافية لهذه المؤسسات

[1] - عبد الله الغدامي، النقد الثقافي: قراءة في الانساق الثقافية العربية:78.

[2] - المرجع نفسه، ص: 79

والاعتراف بعدم براءة شعاراتها وخطاباتها، ولتحقيق نوع من الاندماج، أو العلاقة بين الأدب المكتوب في أي عصر وبين خطاب المؤسسة الإيديولوجية". [1]

فالنسق الثقافي حوار ومساءلة واعية ودقيقة يقوم بها الناقد من خلال فحص وتمحيص للنص الأدبي واستخراج أنساق ثقافية تعبر وتعكس عن إيديولوجيته وفكر أمة من الأمم، كما تقوم هذه الانساق الثقافية بتبيان العلاقة بين المؤسسات الثقافية والمؤسسة الإيديولوجية الفكرية.

ويشكل مفهوم النسق الثقافي عند "عبد الله إبراهيم" "محورا مركزيا في مشروع النقد الثقافي وهذا المفهوم يتحدد– أولا– عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد فالوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد وهذا يكون حينما يتعارض نسقان من أنساق الخطاب أحدهما مضمر والآخر ظاهر، ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر، ويكون ذلك في نص واحد، أو في ما هو محكم ثم يلزم –ثانيا– أن تقرأ النصوص قراءة ثقافية ليس باعتبارها تعبيرا أدبية وجمالية فحسب إنما حادثة ثقافية تقتضي تشريحا يتجه إلى كشف الدلالات النسقية فيها، تلك الدلالات التي تكون موضوعا للتحليل والكشف والتأويل". [2]

إن مفهوم النسق الثقافي عند "عبد الله ابراهيم" ليس بعيدا عن مفهومه عند "عبد الله الغذامي" فكلاهما تحدثا على أن النسق الثقافي يكون متخفيا تحت نسق ظاهر يكشف عنه ويحدد وظيفته في نص واحد ويشترط في هذا النص الأدبي الجمالية البلاغية فهي التي تحدد مدى قبول وتقبل المتلقي لها، كما يشترط عند قراءة هذه النصوص قراءتها قراءة ثقافية تكشف لنا عن انساق مضمرة تعبر عن ثقافة ذكية، فتحليلنا وتعريتنا وكشفنا وقراءتنا الدقيقة لهذه النصوص من شأنه الافصاح عن أنساق ثقافية مضمرة.

كما أن في "الثقافة مؤلف مضمر" ذو طبيعة نسقية تلقي شباكها غير المتطورة حول الكاتب، فيقع في اسر مفاهيمها الكبرى التي تتسرب إليه كالمخبر البطيء، فترتب محولات خطابية بما يوافق المضامين الإيديولوجية الخاصة بها، أننا بإزاء مؤلف مزدوج التكوين، تكوين شخصي وآخر ثقافي، والثاني لا يدخر وسعا في تشكيل الأول".[3]

---

[1] – يوسف عليمات، النسق الثقافي: قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث جدارا، الأردن، ط1، 2009 ص:14.

[2] - عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004 ، ص:271.

[3] - المرجع نفسه ،ص: 128،129.

تحتوي جميع الثقافات على مؤلف مزدوج التكوين، تكوين شخصي ذاتي وآخر ثقافي مكتسب وهناك علاقة وطيدة بين المؤلفين خاصة وأن المؤلف الثقافي هو الذي يشكل المؤلف الشخصي. إن التعريفات التي تطرقنا إليها حول مفهوم ووظيفة النسق الثقافي تمحورت حول نسقان متلازمان أولهما ظاهر والآخر مضمر وهذا الأخير هو الذي يكشف الأول داخل خطاب ثقافي ذو طبيعة جمالية تحققت من خلال اعتماد أدوات إجرائية، أطلق عليها "عبد الله الغدامي" اسم الحيل ويذكرها فيما يلي:

أ- تغليب الوجدان وتغييب العقل، حيث تعطي الأولوية للكثير من القيم التي لا يستفيها التفكير العقلاني.

ب- عزل اللغة عن التفكير، من خلال تضخيم الجمالي وإعطائه قيمة تتعالى على العقلي الفكري، مما يسهل عملية تمرير الانساق والاستجابة لها.

ت- عدم تنسيب المتن الثقافي مما أعطاه مكانة تتعالى على الزمن والتاريخ، وجعل القيم التي يعبر عنها بعيدة عن النقد وإعادة المساءلة". [1]

هذه الحيل الثلاثة التي يستطيع الجمهور المستهلك للثقافة الكشف عن النسق المضمر المتخفي عبر أقنعة عديدة أهمها قناع الجمالية اللغوية، خاصة وأن "النسق من حيث هو معنى مضمر ليس منتجه هو ذات الكاتب أو القارئ، وإنما هو صبغة ثقافية، ينغرس في الخطابات المتداولة ويستهلكه جماهير القراء والمتلقين"[2].

فالنسق تصنفه ثقافة المجتمع بأشكالها وأنظمتها، ويستهلكه جماهير سواء تماشت هذه الخطابات مع معتقداتها أو تناقضت معها، فالثقافة هي الكفيلة بإخفاء أنساقها وتمريرها عبر الجمالي من النصوص والخطابات.

6-الفرق بين النسق الشعري والنسق الثقافي:

الموازنة الفكرية بين عالم الرموز المشحون بالمعاني، وسياق الخطاب المشحون بالعلامات والإحالات، تعيد صياغة علاقة اشكالية بين الانساق الثقافية والأنساق الشعرية، فالمعاني تبرز من جديد لإعادة تنشيطها فتكتسب قيما جديدة داخل الخطابات من خلال النشاط التواصلي بين هذين المجالين المختلفين والوعي بالمسافة التاريخية والمعرفية بينهما.

[1]- إدريس الخضراوي، الأدب موضوعا للدراسات الثقافية، ، ص:56.

[2]- المرجع نفسه ، ص: 57.

"إن العلاقة بين هذين النسقين تكشف لنا المخبوء وراء الخطاب الظاهر و لا يمكن الفصل بينهما ذلك أن النسق الثقافي ذو طابع جمعي، ويخضع لبنية اجتماعية ذات طقوس وشعائر جمعية، وينبغي لأي نسق حسب نظرية بارسونز أن يفي بأربعة متطلبات إذا كان يريد البقاء:

1. **التكيف:** إن كل نسق لابد أن يتكيف مع بيئته.
2. **تحقيق الهدف:** لابد لكل نسق من أدوات يحرك بها مصادره كما يحقق اهدافه، وبالتالي يصل إلى درجة الاشباع.
3. **التكامل:** كل نسق تجب أن يحافظ على التواؤم والانسجام بين مكوناته، ووضع طرق لدرء الانحراف والتعامل معه أي لابد له من المحافظة على وحدته وتماسكه.
4. **المحافظة على النمط:** يجب على كل نسق أن يحافظ بقدر الممكن على حالة التوازن فيه."[1]

نفهم من هذا أن النسق الثقافي شامل ذو صبغة جماعية، يتحدد من خلال العناصر المترابطة والمتفاعلة التي تخص المعارف والفنون والمعتقدات والطقوس والشعائر التي يكتسبها الإنسان في مجتمع معين فهي بذلك نظام متواصل ومتوارث ينتقل من جيل إلى آخر عن طريق التكرار فالأنساق الثقافية قابلة للتطور شأنها شأن كل عناصر الحياة حسب مقولة بارسونز "الأنساق الاجتماعية مكونة من أجزاء قادرة على التأمل والتفكير أثناء قيامها بأدوارها".[2]

فهي متوارثة من جيل إلى جيل عن طريق المحاكاة أو الممارسة بشكل لا شعوري، فهي مرتبطة ومتصلة بحياته وبنيه وروحه فتؤثر في أفعاله وسلوكه، وعاداته فمثلا تعلم الإنسان للغة فهي تبدأ مع الإنسان منذ لحظة ولادته، وتستمر معه طوال حياته و لا تموت إلا بموته خاصة وأن اللغة من أهم الانساق الثقافية في المجتمع.

أما "النسق الشعري فهو ذو طابع جمعي ويخضع لبنية اجتماعية لكن له خصوصيته الفردية،فهو تعبير عن علاقات انسانية ثقافية موروثة مسبقا، أو تخطيط اعتباطي يمثل بطريقة ما البنية غير المعلومة لنا عن فكر قديم يضرب بجذوره في أعماق التاريخ". [3]

---

[1] - إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، تر: محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، الكويت، 244، دط 1999، ص:74.

[2] – المرجع نفسه، ص:87.

[3] - عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف، لبنان، الجزائر، ط1 2010، ص:154.

فالنسق الشعري عملية فردية خاصة بصاحبها فقط، ومن هنا يمكننا حصر الفرق بين النسقين فيمايلي:

- النسق الثقافي ممارسة جماعية والشعري ممارسة فردية خاصة تخضع لشروط الجماعة.
- في النسق الشعري يطلق الشاعر العنان لأحاسيسه لتعبر عن نفسها أما في النسق الثقافي فالإنسان يحافظ على شخصيته الثقافية.
- في النسق الثقافي تمارس الجماعة الطقوس والشعائر بدون وعي حقيقي أما في النسق الشعري فإن الشاعر يمارس طقوسه بوعي حقيقي وإدراك". [1]

معنى ذلك أن الانساق الشعرية هي نتاج معرفي لوعي الشاعر بالأنساق الثقافية، فقراءتنا وتأويلنا لهذه الانساق الثقافية يكشف لنا عن انساق شعرية متأصلة منذ عصور بعيدة وفق نظام خطابي محدد .

كما أن هذه " الأنساق قيمة جمالية وقيمة فكرية لا يمكن التفاضل عنها، فهي تمثل عنصرا أساسيا في عملية التواصل الاجتماعي والفكري داخل مجتمع ما". [2]

معنى ذلك أن الانساق الشعرية عملية فردية عفوية تعبر عن معارف وأفكار الإنسان في صورة جمالية ذات قيمة فنية.

[1] - عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة ،ص:147.

[2] - المرجع نفسه،ص:140.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

الأنساق الثقافية في شعر عنترة بن شداد

تمهيد

1- النسق الجمعي

أ-النسق القبلي

2- النسق الفردي.

ب- نسق الفحولة

3- نسق المعارضة (النسق المضاد)

تمهيد:

تشكل معلقة وشعر عنترة بن شداد محورا أساسيا في إضمار الأنساق الثقافية وتخزينها، والتي تكشف للملتقي ثقافة الشاعر الواسعة، وقد إستطاع من خلال شعره أن يفصح عن أنساق ثقافية منها ماهو ظاهر جلي، ومنها ماهو خفي مضمر لايكتشفه القاريء إلا من خلال الغوص في أعماق حياة الشاعر والسياق الذي عاش فيه، فهذه الحياة بزخمها وجوانبها المختلفة أفرزت أنساقا ثقافية قائمة بذاتها وأخرى مضادة لها، وبما أن الشعر هو الوعاء الخطير الذي يفرز هذه الأنساق الثقافية كان لغرض الفخر فيه الحظ الأوفر.

ومن بين الأنساق الثقافية الطاغية على شعر عنترة نجد:

النسق الجمعي المتمثل في النسق القبلي، والنسق الفردي المتمثل في النسق الفحولي، وأخيرا نسق المعارضة – المضاد–.

1- النسق الجمعي:

يعد هذا النسق من أهم الأنساق الثقافية في شعر و معلقة " عنترة بن شداد " خاصة و أن النسق المركزي المسيطر على شعره هو نسق القوة القائم على الصراع، سواء كان هذا الصراع داخلي بين عنترة وقبيلته أو خارجي يأتي من خلال صراعه مع القبائل الأخرى، فقد عان عنترة ظلما اجتماعيا خاصة من طرف والده الذي لم يعترف به إلا بعد كبر، و كذا ظلم قبيلته التي يتحكم فيها نظام قبلي يقتضي عدم الاعتراف بالأسود على أنه شيد بالرغم من أصوله العريقة بنسبه لوالده. إلا أنه عاش عبدا منبوذا و مرفوضا في قبيلة كان والده سيدها بالإضافة إلى أنه ابن أمة حبشية و هذا ما زاد من عبوديته و عدم قبوله خاصة من طرف محبوبته عبلة، فالعبد الأسود لا يتزوج من حرة.

فوعيه التام بظلم هذا النظام الجاهلي القائم على العصبية زاده تخلقا و تميزا، فكان أحسن العرب شيمة وأعلاهم همة و أعزهم نفسا، فحمدت بذلك أخلاقه و كثرت عطاءاته في محاولة منه لرد اعتباره و الاعتراف به من قبل أبيه و قبيلته.

و بذلك سنحاول استخراج أهم الأبيات الشعرية التي جعلت من قبيلة عبس هي أكبر القبائل و أقواها وكذا صراعاتها مع القبائل الأخرى و بالأخص صراعات عنترة بن شداد معها و يبرز ذلك من خلال:

أ- النسق القبلي:

كان الشاعر في العصر الجاهلي هو صوت القبيلة يتحدث باسمها أي باسم النحن القبلية يدافع عن مصالحها و يحميها فهو الذي يحقق لها الهيبة و المكانة بين أعدائها من القبائل الأخرى، فقوته من قوتها وانتصاراته من انتصاراتها. لذلك حاول عنترة بن شداد اتخاذ قوته وفروسيته سلاحا لجعل قبيلة أقوى القبائل خاصة و أن النسق المركزي و المسيطر أنذاك هو نسق القوة و الغلبة.

فنتج من خلال ذلك صراع نسقي بين النسق الفردي المتمثل في ذات الشاعر المهمشة و النسق القبلي المتمثل في النظام القبلي و ظلمه، خاصة و أن هذا النظام قائم على أفضلية الأبيض على الأسود و الحر على العبد، وبذلك سنحاول استخراج أبرز الأبيات الشعرية التي تعكس هذه الصراعات.

عاش عنترة زمنا طويلا في قبيلته عبدا مغمورا لا يعرف إلا الحلاب و الصر و ذلك بسبب عبودية أمه و سواد لونه و بالرغم من أنه ينتسب إلى عرق أبوي أصيل و متميز في قبيلته إلا أنه عاش فيها غريبا ومهمشا. فاتخذ من قوته و شجاعته مدخلا لنيل الحرية خاصة و أن هذه الأخيرة كانت مشروطة و دليل ذلك: " أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم بني عبس فأصابوا منهم، فتبعهم العبسيون و قاتلوهم و عنترة فيهم، فقال له أبوه: كُر يا عنترة، فقال عنترة: العبد لا يحسن الكرّ، إنما يحسن الحلاب و الصرّ، فقال كُرّ و أنت حرّ، فكرّ و هو يقول:

كُلُّ امرئ يَحمي حرَّهُ أَســوَدَهُ و أَحمَــرَهُ

و الواردات مشفَــرَة [1]

فهو على وعي تام و ادراك مطلق لظلم والده و قبيلته له بسبب لونه لذلك لبى دعوته في القتال لنيل الحرية فقوله (يحمي حره) هي نسق مضمر يدل على تلبية عنترة لطلب والده و حمايته لقبيلته من خلال الانتصار لها و الدفاع عنها و لكن ما هذا الانتصار إلا انتصارا لذاته و نفسه من قيود العبودية، لكن كان ذلك بشق الأنفس و بذل الكثير من الجهد و التضحيات.

كما يتضح لنا الظلم الاجتماعي في هذا النسق من خلال ظلم قبيلته له فيقول:

و إلَى الله أشكُو جورَ قوم و ظُلمــهم إذ لَم أَجد خلاً عَلَى البُعد بعضدَ

خَيلَــيّ أَمسَــى حُــبُّ عَبلَــة قَـاتلــي و بَأسي شَديدٌ و الحسَامُ مُهَنــدُ[2]

[1] -ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، ص: 250.

[2] -الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص: 54.

يشكو الشاعر ظلم و جور قومه إذ لم يجد صاحبا منهم يعينه و يساعده على وحدته فقوله (لم أجد خلاً) نسق مضمر يدل على نفور و بعد الأحبة عنه بسبب عبوديته، كما يشكو بعد الحبيبة له فيقول (أمسى حب عبلة قاتلي) و هو نسق يعكس لنا ألمه و حزنه على فراق ابنة عمه و ذلك بسبب جور الأعراف السائدة أنذاك و التي تقتضي عدم تزويج العبد الأسود من الحرة.

كما يفتخر الشاعر بنفسه و بقبيلته و قوتها أمام محبوبته فيقول:

سَلي يا عبلُ عنَّا يَـومَ زُرنَا قبَائــلَ عَمــر و بَنــي كــلاَب

وَكَم من فَارس خَليتُ مُلقَـى خَضيبَ الرَّاحَتَين بلاَ خضَـاب[1]

يتضح من خلال هذه الأبيات ابراز الشاعر لقوة النحن القبلية في حربها مع قبيلتي عامر و بني كلاب و هو معنى لساني ظاهر يعكس لنا مكانة و عظمة قبيلة عبس لكن هذا التفوق القبلي كان بفضل قوة الشاعر فقوله (و كم من فارس خليت ملقى) هو نسق مضمر يعكس لنا استعلائه بذاته وأناه و بذلك حاول الشاعر اثبات قوة ذاته من خلال فروسيته و التي من شأنها إزالة و محو الظلم المسلط عليه. هذا من جهة، و من جهة ثانية اعلاء ذاته أمام محبوبته فقوته تمحو سواده.

يقول مرة أخرى:

وَ دُرنَا كَمَا دَارَت عَلَى قُطبهَا الرَّحى وَ دَارَت عَلَى هَام الرّجَال الصفائحُ[2]

يبرز الشاعر من خلال هذا البيت قوة قبيلته و بطش فرسانها في ساحة الحرب مصطلح (قطب الرحى) هو نسق مضمر يدل على قوتها، فهم يفتكون بأعدائهم كما تطحن الرحى و ما هذا الافتخار بقبيلته إلا محاولة منه للسمو بذاته المهمشة و الرفع من قيمتها في مجتمع قبلي قائم على نسق القوة، و هو على دراية تامة بأنه لن يستطيع فرض ذاته و أناه دون أن يثبت تميزه وتفرده في قبيلته.

كما يرى الشاعر بأن سياسة الإقصاء الممارسة في حقه بسبب سواد لونه لا مبرر لها بالمقارنة مع شجاعته و بسالته في الحروب فحاول إبراز تفرده و تميزه للقبيلة من خلال قوله:

و قَد شَاهَدتُم في يَوم طَيء فعَــالــي بالمُـهَنَـدَة الحـــــدَاد

رَدَدتُ الخَيلَ خَاليَة حيارَى وَ سُقتُ جيَادَهاَ و السَيفُ حادي[3]

[1] - الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة ، ص:54.

[2] - المصدر نفسه ، ص: 46.

[3] -المصدر نفسه، ص: 58.

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات شجاعة الشاعر و قوته في حرب طيء، فقوله (فعالي بالمهندة) نسق مضمر يعكس لنا فروسيته و شجاعته في محاولة منه لإزالة الوهم الاجتماعي الخاطئ من ذاته بسبب سواد لونه، و انتسابه إلى أمه الحبشية السوداء فاتخذ من بطولته الحربية و قوته الخلاص أو المخرج الوحيد لنيل الحرية، فخاض مع قبيلته حروبها و انتصر لها فكان فارسا من فرسانها المعدودين خاصة في حرب " داحس والغبراء ".

و يقول كذلك :

حرام علي النوم يا ابنة مالك و من فرشه جمر الغضا كيف يرقد[1]

و يقول مرة أخرى :

سلي يا عبلة الجبلين عنا و ما لاقت بنوا الأعجام منا

أبدنا جمعـــهم لمــا أتونا تموج مواكب إنسا و جـــنا[2]

يحاول الشاعر من خلال هذين البيتين افتخاره بقبيلته و إعلاء صيتها من خلال إبرازه لقوة النحن القبلية، فالنسق الظاهر يبين لنا مدى قوة و بطش قبيلة عبس في ساحة الوغى و محاولة الشاعر الافتخار بقبيلته ما هي إلا محاولة منه لإعلاء ذاته و أناه فقوله (سلي يا عبلة الجبلين عنا) هو نسق مضمر يحاول فيه الشاعر الانتصار لقبيلته و ما هذا الانتصار إلا انتصارا لذاته وتخليدا لاسمه.

فقد عاشت القبائل العربية في العصر الجاهلي نظاما قبليا واحدا يتحكم في سلوكيات أفرادها و أخلاقهم ،و الشعور بذلك الانتماء أو ما يعرف بالعصبية القبلية هو ما جعلها خاضعة لأنظمتها حتى و إن كانت ظالمة، ذلك أن شعور التماسك و الاندماج فيما بينهم هو مصدر قوة سياسية و دفاعية تجعلها مصدر قوة و هيبة.

فأساس النظام القبلي هو "العصبية" سواء كانت عصبية للأهل و القبيلة أو لسائر القبائل الأخرى فمن شروطها أن يدعى الرجل إلى نصرة قبيلته و حمايتها سواء كانت ظالمة أو مظلومة ذلك بسبب الأعراف و الظلم الاجتماعي السائد أنداك، فكانت النحن القبلية بأنظمتها و قوانينها تمارس سلطة إقصاء الآخر إذا ما تعارض مع ما هو سائد فيها.

[1] - الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص:54.

[2] - المصدر نفسه، ص: 194.

2-النسق الفردي:

إن الشعر الجاهلي سجل العرب التاريخي و الثقافي، حيث كان الشاعر قديما يتحدث باسم الجماعة أي باسم " النحن القبلية " و يدافع عن مبادئها و قيمها و حريتها، ويضم النسق الجمعي نسقا فرديا يخدم أنا الفرد بالدرجة الأولى، فتحولت بذلك القيم من بعدها الجماعي المشترك لدى الأفراد إلى بعد ذاتي نفعي أدى إلى ظهور ذات تسعى إلى تعزيز قيمها الفردية، و إعلاء ذاتها وتمجيدها بين أفراد قبيلتها، فهذه الذات المتعاظمة من شأنها أن تنفي الآخر ويستطيع أن يختفي النسق الفردي ضمن النسق الجمعي ، فيبدو للقارئ لأول وهلة فخر بالنحن الجمعية، ولكن الحقيقة عكس ذلك.

و هذا ما وجدناه في شعر عنترة بن شداد من خلال قراءة فاحصة اعتمدنا فيها أدوات التحليل الثقافي وذلك لإبراز تضخم أناه و الاستعلاء بذاته من خلال غرض الفخر، إضافة إلى حديثه المتكرر عن بطولاته الحربية، و قيمة الأخلاقية و ذلك من خلال فروسيته و شجاعته في ساحات الوغى، و أخيرا الحديث عن عقدة النقص عنده و التي طالما لاحقته، فحاول اقصاء نسق التمييز اللوني عن ذاته و أناه و كأنه لا وجود له بالأساس، أو أنه لا يحجز هذه الأنا والذات من التصدر في مجريات القبيلة لسبب يراه من صنع الخالق وهو اللون، و يمكن شرح ذلك و بيانه من خلال النقاط التالية:

أ- نسق الفحولة:

الفحولة مقياس نقدي للفصل بين مستويات الكتابة لدى الشعراء و قد ارتبط بالطبقة من خلال كتاب " طبقات فحول الشعراء " للأصمعي و فكرة الفحولة في العصر الجاهلي مزية كل شاعر دون تحديد طبقته بين أقرانه من الشعراء، فأمرؤ القيس فحل، و عنترة فحل، لكن ارتبطت هذه الفحولة بالجانب الفروسي و الأخلاقي للفرد، فالفحل في العصر الجاهلي هو الرجل بجميع أوصافه، فهو الرجل الأوحد المتفرد المتعالي الذي لا يعترف بصوره الآخر بل ينفيه بصورة كاملة، و معنى الفحولة هو اسكات الآخر الخصم بالدرجة الأولى أي اسكات خصوم الشاعر وقبيلته سواء كان ذلك بسيفه أو بقلمه، و هذا ما يتجلى لنا من خلال شعر عنترة بن شداد من خلال:

- **<u>تضخيم الأنا/ الذات المتعالية:</u>** حاول عنترة بن شداد ابراز تفوق ذاته و أناه بين أفراد قبيلته و الرفع من قيمتها و يتضح ذلك بقوله:

أَنَا العَبدُ الذي خُبرْتَ عَنـــه يُلَاقي في الكَرِيهَة أَلــفُ حُـرٍّ
خُلقتُ منَ الحَديد أَشَدَّ قَلبًـــا فَكَيفَ أَخَافُ من بيض و سُمرٍ
وَ أَبطَشَ بالعُمي وَ لاَ أُبَالِـي وأعلُـــو بالسَّمَاءِ بكُــلُّ فَخــر [1]

في هذه الأبيات تتجلى ذات عنترة المفاخرة بأناه، فهو يتحدث عن قوته في الحرب و شدته (يلاقي في الكريهة ألف حر) فالنسق المضمر هنا يدل على صلابة الشاعر فهو الرجل الأوحد الذي يهاب و يحسب له ألف حساب بالرغم من أنه العبد الأسود الذي طالما عير بسواد لونه (أنا العبد) لكن تفوقه و امتلاكه القوة لم يقف حاجزا أمام عزمه و قدرته على خوض المعارك وبذلك أبرز ذاته المتعالية، فقد حاول الشاعر الاستعلاء بذاته من خلال اظهار قوته و هذا هو النسق المضمر في الأبيات السابقة الذكر و بخاصة في قوله (بيض و سمر)، فهو لا يخاف الآخر سواء كان فردا أو جماعة أبيضا أو أسودا عربيا او أعجميا.

يواصل الشاعر فخره بنفسه في محاولة منه بإعلاء ذاته و يتضح ذلك في قوله:

أَنَا المَـوتُ إلاَّ أَنَّنــي غَيْرُ صَـــابِـرٍ عَلَى أَنْفُسِ الأَبْطَالِ و المَوتُ صَابِرٌ
أَنَا الأَسَدُ الحَامِي حِمَى مَنْ يَلُوذُ بِــي و فِعلِي لَهُ وَصفٌ إلَى الدَّهرِ يُذكـرُ [2]

يتجلى استعلاء عنترة بذاته و الرفع من أناه من خلال افتخاره بقوته في ساحة الوغى، فهو غير صابر على الفتك بأنفس الأبطال و يتضح ذلك من خلال استعماله جملا ثقافية منحت له صفة التميز عن باقي أفراد قبيلته، كقوله (أنا الموت، أنا الأسد) و هي جمل دالة على تفرد الذات عن الآخر فتصبح الأنا الفردية هي المسيطرة و المركز فيما يتعلق بالنحن القبلية، إضافة إلى ذلك نجد تحليه بأخلاق و أفعال كريمته تحسب له على مر الزمن (و فعلي له وصف) فالنسق المضمر هنا يظهر من خلال فعله المحمود و الذي جعل منه فارسا متخلقا حتى و هو في رحى الحرب.

كما تبرز الذات المتعاظمة عند عنترة و النافية للآخر من خلال قوله:

أَنَا الحِصنُ المُشَيدُ لآل عَبَسٍ إذَا مَا شَادَت الأبطَال حِصنًا [3]

[1] -الخطيب التبريزي،شرح ديوان عنترة ص: 87.

[2]- المصدر نفسه،ص 79.

[3] - المصدر نفسه، ص: 195.

يتضح في هذا البيت محاولة الشاعر الرفع من أناه (أنا الحصن) حيث شبه نفسه بالحصن الضخم الذي بنى مجد قبيلة آل عبس، فنسق القوة بارز من خلال جعل الشاعر نفسه قوة عظمى قادرة على تشييد قبيلة بنفس قوة و وزن و عظمة قبيلة عبس فاتخذ كلمة (أنا الحصن) جملة ثقافية تدل على نسق مضمر متمثل في القوة و الحماية، و بذلك محى صورة النحن القبلية و حصر بناء مجدها في قوته و بطولته الحربية بقول كذلك:

أَنَا الرجُل الذي حُبِرتُ عَنهُ و قد عَانيتُ من خَبَري الفِعَالاَ [1]

إن تعالي الذات المطلقة للشاعر جعلته يلغي الآخر و ينفيه فيرى نفسه الرجل الأوحد المتميز عن باقي أقرانه فقوله (أنا الرجل) نسق فحولي جعلت من صفة الفحولة منحصرة في ذات عنترة و بذلك إلغاء فحولة الآخر.

و في نفس السياق نجد بروز تضخم ذات الشاعر و الاستعلاء بها من خلال قوله:

سَتذكُرني المعامعُ كـل وقـتٍ على طُولِ الحياة إلَى المَمَـاتِ
فذَاك الذِكرُ يبْقَى ليـسَ يفنـىَ مدَى الأيـام في مـــاضٍ و آتٍ
فإني اليوم أحمي عرض قومي و أنصر آل عبس على العداة[2]

يرى الشاعر نفسه الفارس أو الذكر الذي لا يفنى عبر الزمن و قوله (ذاك الذكر) نسق مضمر يحيلنا إلى أن صفة الذكورية تنحصر في أناه فقط، خاصة و أن صورة الفروسية في العصر الجاهلي كانت مرتبطة بالجانب الجنسي أي جنس الذكر، و هي التي جعلت منه فارسا خالدا وفي ذلك دعوة صريحة لنفي التهميش عن ذاته و إلغاء صفة العبودية عنه خاصة و أنه كان درعا حامي لقبيلته في معارك عدة. فقوله (أحمي عرض قومي) هو نسق مضمر يبرز فيه عنترة قيمة أخلاقية تقتضي ضرورة حماية عرض و شرف قبيلته والانتصار لها و ما هذا الانتصار لها إلا انتصار لذاته و نفسه المهمشة.

- **<u>فروسية و أخلاق عنترة بن شداد</u>:** كان عنترة أحسن العرب شيمة و أعلاهم همة وأعزهم نفسا و هذا ما جعله أبا للفروسية العربية، كما كانت جل معاركه مصبوغة بصبغة أخلاقية وسلوكات جعلته شاعرا متفردا ومختلفا عن باقي أقرانه، كما كانت هذه الأخلاقيات و القيم

[1] - الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة ص: 112.

[2] - المصدر نفسه، ص:39.

المعرفية له تتنافى و ما هو سائد في العصر الجاهلي، فكان مثالا لأخلاقيات الحرب و النبل فاستحق بذلك اعجاب الرسول صلى الله عليه و سلم عندما تلي أمامه قول عنترة:

و قَد أبيتُ عَلَى الطّوى و أظلُّهُ حَتَى أنَالَ به كَريمَ المَأْكَلِ[1]

يصور لنا الشاعر قيمة أخلاقية قلما وجدت في العصر الجاهلي و المتمثلة في عدم الأخذ بالطعام الخبيث ، فالجوع حتى الموت عند عنترة أهون و خير من الطعام الدنيء و الحرام، ذلك أن نفسه العفيفة تأبى أكل الخبيث، فالنسق المضمر هنا يكشف لنا عن كرم ذاته و عفتها. بقوله (أبيت على الطوى) و كذا قوله (أنال به كريم المأكل) فالنسق الظاهر يدل على أن الشاعر لا يرضى إلا بالطعام الحلال و هذا ما يتعارض و يتنافى مع النسق المضمر المتمثل في سلوكيات الجاهلية المعارضة له.

كما يتضح النسق الفحولي من خلال جانبه الأخلاقي في قوله:

إنِي امرؤٌ منِي السَمَاحَة و النَـدى و البَأسُ أخلاَقٌ أَصَبتُ لُبَابَهَا[2]

و أنَا الربيعُ لمَن يحُلُّ بسَاحـــتِي أسدٌ إذَا ما الحَربُ أبدَت نَابهَا

حاول الشاعر من خلال هذه الأبيات ابراز تفوق جانبه الأخلاقي و سلوكاته في قوله (إني امرؤٌ مني السماحة) و هو نسق ظاهر يتنافى مع ما هو سائد في النسق القبلي القائم على الظلم والإساءة، فأخلاقه الكريمة و مثله العالية تجعله يتميز عن باقي أفراد قبيلته فهو سمح السجايا لا يقبل الظلم بغير حق، لكن إذا ظلم فإنه يرده بظلم أشد منه غير أنه مصبوغ بصبغة أخلاقية كما أن استعماله كلمة (البأس أخلاق) تعكس لنا صورة القيم الأخلاقية التي ترفع من قيمته وتزيد من تميزه كما يظهر الشاعر قوته و شجاعته من خلال صورة فروسيته في الحروب من خلال استعماله كلمة (أسد) فهو رمز يدل على القوة و الشهامة.

جمع عنترة بن شداد فروسيته المادية من خلال استعماله السلاح و قوة الجسم قوة أخرى معنوية أوخلقية جعلته يسمو بها إلى أعلى المراتب و يظهر ذلك في معلقته، يقول:

أثني عليَّ بما علمتِ فإنَني سمحٌ مخالقَتي إذا لم أُظلَمِ[3]

[1] - طه حسين حديث الأربعاء، ص:372.

[2] - الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص: 24.

[3] - أحمد بن الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر و أخبار شعاراتها، ص: 109.

يطلب الشاعر من محبوبته أن تذكر ما علمت من محامد أخلاقه و مناقبه فقوله (سمح مخالقتي) نسق ظاهر يدل أنه سهل المخالطة و المعاشرة لكن إذا لم يظلم، فهو بذلك يحاول أن يصف من أخلاقه ما يشرفه و يميزه عن النسق الجمعي السائد أنذاك و القائم على الظلم الاجتماعي خاصة و أن النسق الفحولي قائم بالدرجة الأولى على تفرد و تميز الفرد عن الجماعة.

تميز الشاعر بحسن الخلق فكان أحسن العرب نفسا و عفة، لكن عدم اعتراف أبيه به جعل منه عبدا مستكرها و مهانا، حيث تعرض للإهانة و التشكيك في خلقه من أقرب ذويه لكن لم يقابل تلك الإساءة بالمثل بل ترفع بخلقه و جعل من نفسه عبدا مملوكا لوالده و يتضح ذلك في قوله:

العَبدُ عَبدُكُمْ و المَال مَالُكُم فهَل عذَابك عَنِي اليَوم مصْرُوف[1]

و خلقه الكريم يحول بينه و بين الإساءة لوالده فقوله (العبد عبدكم) نسق ظاهر يدل على أن الشاعر على وعي تام بأنه في نظر والده عبد ذليل لكن ذلك لم ينقص من احترامه و حبه بل جعل من نفسه أسيرا له و مغرقا في حبه و احترامه.

كما اتخذ الشاعر من أخلاقه الحميدة و عفة نفسه وسيلة لدفع المذلة عن نفسه و يتضح ذلك في قوله:

يُخبرُكَ مَن شَهِدَ الوقيعَة أنَّني أغشَى الوغَى و أَعِفُّ عندَ المغنم[2]

يخبر الشاعر محبوبته أنها إذا سألت الفرسان عن حاله في الحرب لسوف يخبرونها بأنه كريم الخلق عالي الهمة، يخوض الحرب من أجل النصر بغض النظر عن ما يكسبه من غنائم و أموال، فحربه كانت للحرب و نيل الحرية لا للغنائم و استخدامه كلمة (أعف عند المغنم) تعكس لنا خلقه الكريم و شجاعته النادرة، و هو جانب أخلاقي لا يتصف به من كان، و هذا ما يؤكد لنا مدى عفة عنترة و نبله.

كما عدّ عنترة من أعظم من مثلوا المثالية الفروسية من شجاعة و نبل و إجارة الجار، و نجدة المستغيث ويتضح ذلك في قوله:

[1] - شرح ديوان عنترة، ص: 43.

[2] - أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص: 139.

و كَم داعٍ دعَا في الحَربِ باسمِي و نَادَانِي فخُضتُ حشى المنادِى[1]

فشجاعته و أخلاقه الكريمة جعلته يلبي حاجة من أراد به عونا و لا يغفل على مساعدة و نجدة الضعيف و الانتصار له. فقوله (خضت حشى المنادى) تكشف لنا عن نسق مضمر يعكس صورة الشجاعة و المروءة التي تؤهله إلى أن يكون ذاتا معترفا بها دون أن يكون سواده حاجزا في الإعتراف به.

كما تظهر لنا فروسيته و بطولته الحربية من خلال بسالته و سرعته في القتال و الصراع مع الأقران، و كيفية مهاجمته لهم يقول:

و مُدَجَّجُ كره الكُماة نزالــه لا مُمْعِنٌ هَرَبًا و لاَ مُستَسْلِمِ
جَادَت له كَفّي بعاَجل طعْنَةٍ بمُثَقفٍ صَدق الكُعوُبِ مُقوّمِ[2]

فهو الفارس الذي يتقدم للمعارك بكل جرأة و شجاعة، فيكر نحو العدو كرة الأسد فقوله (ومدجّج كره الكماة نزاله) جملة ثقافية تحيلنا إلى نسق القوة و الفروسية الذي جعل من عنترة الفوارس يتفوق بها عن باقي الفرسان و كل ذلك ليكسب لقومه شرف الانتصار.

إن جميع الصفات التي يتحلى بها عنترة بن شداد من شجاعة و قوة و عفة حاول من خلالها السمو بذاته إلى أعلى المراتب و التفوق بذلك على النسق الجمعي الذي رفضه و أقصاه من قبيلة كان والده سيد قومها. فاتخذ الشاعر من القوة و الخلق الكريم ملاذا لمعاناته يقول:

إذا ذكـر الفخــار بأرضِ قـــومٍ فضرب السيف في الهيجاء فخري
سمَوتُ إلَى العُلَى و علوت حتَى رأيتُ النجمَ تحتِي و هُو يَجـــرِي[3]

فنسق القوة هو النسق المضمر و المتمثل في قوله (ضرب السيف) أين برز الشاعر قوته و شجاعته في الحرب من خلال خمله السيف و الذي به صنع مجد و قوة قبيلته التي أصبحت قوية و لها شأن بين باقي القبائل.

كما أن قوله (سموت إلى العلى) تعكس لنا عن نسق مضمر يكشف خلقه الكريم و مثله العليا التي جعلته يصل إلى المراتب العليا، فلولا حمله السيف و شجاعته في ساحة الحرب

[1] -الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص: 58.

[2] -أبى عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص: 139.

[3] –المصدر نفسه، ص:83.

وتحليه بسلوكات أخلاقية لما جعل ذاته ذاتا منفردة و معترفا بها، كما أن فروسيته المتمثلة في شجاعته و قوته أكسبته مكانة متميزة بين أفراد قبيلته، فنال بذلك شرف ضاعت مجدها من خلال الانتصار لها في معارك و حروب عدة بقلب فارس شجاع لا يخشى أحد.

يقول مرة أخرى مفتخرا بذاته و قوته:

بنيت لهم بالسيفِ مجْدًا مُشَيَّدًا فلَمَّا تَنَاهَى مَجدُهُم هَدَمُوا مَجدِي[1]

يرى الشاعر نفسه الفارس الذي بنى و شيد مجد قبيلة بني عبس، حيث كان يخوض غمار حروبها ويتقدم لمعاركها بكل جرأة و شجاعة و استخدامه كلمة (سيف) تحيلنا إلى نسق مضمر يدل على قوته وبطشه، فنسق القوة هذا يعكس لنا سخط و غضب الشاعر من قبيلته التي رفضته فاتخذ من قوته و حمل السيف سلاحا لنيل الحرية فاستطاع أن يكون فارسا من فرسان بني عبس المحدودين، ومع ذلك كله لم تعترف قبيلته به كذات فردية بكينونة متميزة، فبعد الوغى يعود عنترة عبدا أسودا.

كذلك من أبرز الأبيات الدالة على تفوق ذات الشاعر بأخلاقه وتفرده عن الآخر قوله:

وَ أَغُضُّ طرفي في ماَ بَدَت لي جَارتــي حتَّى يُوَاري جـــارتِي مَأوَاهَا

إنّــي امرُؤٌ سَمْــحُ الخَلـــيقَة مَاجِـــــدٌ لاَ أُتبِعُ النَّفسَ اللجُوج هَوَاهَـا[2]

يتضح من خلال هذين البيتين سلوك أخلاقي تفرد به الشاعر عن باقي أفراده من الجاهلين الذين عاشوا و اتبعوا حياة الترف و اللهو، و هذا ما يتنافى مع أخلاق شاعرنا العفيف فقوله (سمح المخالقة) هو نسق مضمر يعكس خلق و عفة عنترة حيث كان يغض بصره و يمنع نفسه من فعل الرذيلة و هذا السلوك يتناقض مع النسق الظاهر المتمثل في سلوكات الجاهلين.

كما أراد الشاعر أن يقف وقفة الرجل البطل أمام معبريه و أن يتقدم لعبلة صورة كاملة غير التي كانت تراها أو التي تناقلتها ألسنة الجماعة، فتسببت هذه الأقاويل و الافتراءات في نفورها ونفور ذويها منه، ويتضح ذلك في قوله:

هلا سألت الخيلَ يا ابنَة مَالك إن كُنت جَاهلَة بمَا لم تعلَمِـي

إذ لاَ أَزَالُ عَلَى رحالة سابـــحٍ نَهْدٍ تُعَـــاورُهُ الكُمَــاة مُكَـــلَّمِ[3]

[1] - الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة ، ص:58.

[2] - المصدر نفسه، ص: 208،209.

[3] - أبى عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص:138.

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات نسق فردي استعلائي يفخر فيه بأناه و نفسه أمام محبوبته فاستخدامه كلمة (أزال على رحالة سابح) و هو نسق مضمر يدل على استعلاء الشاعر بذاته وفخره بأناه أمام ابنة عمه عبلة و التي يطلب منها أن تسأل الفرسان عن حاله وقت القتال إن كانت جاهلة لكرمه و قوته أثناء الحرب وكل هذا التمجيد لذاته و الرفع من قيمتها من خلال ابراز قوته وبطولته في الحرب ما هو إلا محاولة منه لأن يكون ذاتا معترفا بها بين أفراد قومه، و بذلك يبرر ضرورة الاعتراف به و أن ينال موقفا مميزا بعيدا عن سواد لونه.

فعنترة بن شداد كان و لا يزال رمزا للقوة و الشجاعة و الفروسية و العفة، و الخلق الكريم وكلها صفات حميدة اتصف بها الشاعر و كانت لصيقة به على مرّ حياته، و بخاصة الجانب الأخلاقي هذا الأخير قلما وجد في عصر طغت فيه حياة الترف و اللهو و المجون و لكن عنترة حاول من خلال هذه الصفات رسم صورة مثالية من شأنها دفع العبودية من جهة و نيل حب عبلة و الزواج بها من جهة أخرى.

- **سواد لونه:** عاش الشاعر صراع نفسيا عميقا أثر على حياته الاجتماعية و الشخصية والسبب في ذلك هو سواد لونه، خاصة و أن النسق الجمعي في العصر الجاهلي كان قائما على نظام قبلي يقتضي أولية الأبيض على الأسود أي أنه هناك تفاوت عنصري نوعي بين الأبيض والأسود. فحاول الشاعر الحديث عن أخلاقه الكريمة و بطولاته لإزالة حاجز اللون بقول:

و من قَالَ إنِّي أَسوَدٌ لَيعيبُني أُريه بفِعلي أنَّهُ أَكذَبُ الناَسِ[1]

يتضح من خلال هذا البيت عقدة النقص لدى عنترة و التي طالما لاحقته و هي سواد لونه فكلمة (أسود) تحيلنا إلى نسق مضمر يعكس لنا سواد بشرته و الذي كثيرا ما عير به، فكان عائقا وحاجزا أمام نيله للحرية، لكن عزم و صبر عنترة جعله ينفي ذلك التهميش و الإقصاء عن ذاته بقوله (أريه بفعلي) فهو نسقا مضمرا يعكس لنا خصاله الحميدة و أفعاله الكريمة التي تحول بينه و بين سواد لونه.

يقول كذلك:

شبيهُ الليل لوني غير أنّني بفِعلي من بياضِ الصُبحِ أسْنَى[2]

[1] - الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص: 88.

[2] - المصدر نفسه، ص: 195.

إن الشاعر على وعي تام بعدم قبول قبيلته له و ذلك بسبب سواد لونه حيث شبه سواد بشرته بلون الليل الحالك و اتخذ من كلمة (الليل) نسق مضمر يعكس لنا سواده خاصة و أن عامل السواد هو الذي يحدد انتماءه إلى قبيلته من عدمه، فحاول بذلك محو الإقصاء و الرفض عن أناه من خلال أفعاله الحميدة فقوله (بفعلي من بياض الصبح) يعكس لنا التمييز العنصري على أن أفعاله و خلقه الكريم أشد نورا من بياض الصبح و بذلك إزالة و محو بنسق التميز اللوني عن ذاته لأن بيض أخلاقه و أفعالها هما اللذان يصنعان مكانته بغض النظر عن لونه، فبياض أخلاقه ينفي سواد سحنته.

يرى عنترة بأن القوة تعلو به إلى أعلى المراتب، بغض النظر عن لونه و عرقه و يتضح ذلك في قوله:

و لقَد طَلَبتُ منَ العَلياءِ مَنزِلَةً بِصَارِمي لا بِأُمي لاَ و لاَ بِأَبي [1]

فقوله (بصارمي) يحيلنا إلى نسق مضمر يعكس قوة الشاعر في السمو بمكانته إلى المراتب العليا، فهذه المكانة لا يحددها انتسابه لأمه السوداء، و لا لنسب أبيه العريق بل يحددها قوة وشجاعة و عزيمة عنترة الفحل.

كما أن محاولة الشاعر محو نسق التمييز اللوني و العرقي عن أناه كان سببها طمعه في نيل حب عبلة و الزواج بها فيقول:

دَعنِي أجِدُّ إلَى العَلياءِ في الطلب و أَبلَغُ الغَايَة القُصـــوَى من الرُتَـب
لَعَلَّ عبلة تضحي و هي راضيَـة عَلَى سَوادي و تَمحُو صورة الغضب[2]

يحاول عنترة العلو بأخلاقه لعلها تغطي و تمحو سواد لونه و كذا رفض محبوبته له فقوله (سوادي) نسق يعكس سواد بشرته التي كانت عائقا و حاجزا في رفض عبلة و ذويها له فبالرغم من أن النظام القبلي الجاهلي يقتضي تزويج الفتاة من ابن عمها إلا أن ذلك لم يطبق على عنترة بسبب لونه وانتمائه لأمه الحبشية فحاول بذلك عنترة إزالة و نفي التهميش عن ذاته و أناه من خلال اتصافه بجملة من الأخلاقيات و السلوكيات و كذا قوته و شجاعته في الحروب لعلها تؤهله لأن يكون ذاتا معترفا بها في مجتمع قبلي يرفض تزويج العبد الأسود.

[1] - الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة ، ص: 37.

[2] - المصدر نفسه، ص:36.

يقول كذلك:

لئِن أكُ أَسودًا فالمِسكُ لونِي و مَا لسـوَاَد جِـلدِي منْ دَوَاء

و لَكِن تبعُد الفَحشَـاءُ عَنّـي كَبُعدِ الأَرضِ عَن جَوّ السَّمَاء[1]

فحاول الشاعر تغطية عقدة نقصه من خلال فكرة تجسيده للأخلاق الكريمة والفروسية المثالية والتغني بها و كذا الدفاع عنها، خاصة و أن أفعاله الكريمة هي الحاجز الدفاعي الذي يتوسله دوما لإبراز ذاته والاصرار على مساواتها مع ذوات القبيلة من بني عبس.

يتضح من خلال هذه الأبيات محاولة الشاعر اقصاء نسق التميز اللوني عن ذاته و أناه فقوله (أك أسود) نسق مضمر يدل على سواد بشرته و التي كانت السبب الرئيسي في معايرة قبيلته له فاتخذ من خلقه الكريم وسيلة لمحو ذلك السواد فبياض أخلاقه تغطي سواد جلده (خاصة و أن لونه من صنع الخالق) فكلمة (دواء) هي نسق مضمر يدل على أنه ليس هناك حل لسواد لونه لأن هذا الأخير من صنع الخالق.

و يقول كذلك :

ما ساءني لوني و اسم زبيبة إذ قصرت، عن همتي، أعدائي[2]

يتضح من خلال هذين البيتين محاولة الشاعر تغطية عقدة نقصه المتمثلة في نسبه لأمه فقوله (اسم زبيبة) هي نسق مضمر يدل على اسم أمه التي عاش زمانا طويلا ينسب إليها حيث كانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبده.

و يقول كذلك :

سوادي بياض حين تبدو شمائلي و فعلي على الأنساب يزهو و يفخر[3]

يرى الشاعر من خلال هذا البيت بأن أخلاقه الكريمة تعلو به إلى أعلى المراتب بغض النظر عن سواد سحنته و عرقه فاستخدامه كلمة (سوادي بياض) هي نسق مضمر يعكس لنا أفعاله الحميدة و التي من شأنها محو ذلك السواد و بذلك حاول الشاعر إقصاء نسق التمييز اللوني عن ذاته و أناه كأنه لا وجود له.

[1] - الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة ، ص:22.

[2] - المصدر نفسه، ص22.

[3] – المصدر نفسه، ص79.

3-نسق المعارضة: (النسق المضاد):

يتجسد هذا النسق من خلال المواضع التي يتعارض فيها فرد مع آخر أو مع جماعة في سلوكاتهم، وأخلاقهم و معتقداتهم، و يكون هذا النسق هو المهيمن أو المسيطر على النظام العام خاصة و أنه قائم على القوة، لأن نسق القوة هو الكفيل بإزاحة نظام و إحلال آخر. لكن هذا النظام الجديد لا يختلف عن الآخر من حيث الفعل و المسلك بالرغم من أنه يعارضه، فلو نظرنا في التاريخ و أخذنا المثال الأموي/ العباسي لوجدنا أن : " العباسيين قاموا بوصفهم معارضة سياسية ضد الأمويين بدعوى ظلم بني أمية و تجاوزهم، غير أن العباسيين و هم يقومون كمعارضة ينتهون إلى نهاية نسقية، و يقدمون أمثلة كالسفاح الذي اكتسب اسمه من كثرة سفكه للدماء حتى صار ذلك علامة عليه و لقبا له "[1]

فمحاولة العباسيين معارضة الدولة الأموية للقضاء على ظلمها و سياستها أوقفتها في نفس المغالطة و ذلك باستعمال وسائل و أساليب نسقية أكثر شراسة و قوة، ذلك أن الفرد المعارض لا بد له أن يكون أكبر قوة لإزاحة الآخر و رفضه سواء كان هذا الرفض فكريا أو سياسيا.

و هذا ما سنحاول استخراجه من خلال أبرز الأبيات الشعرية التي عارض فيها عنترة بن شداد الآخر الخصم سواء كان هذا الآخر فردا أو جماعة فانقسمت بذلك ذات الشاعر إلى أنا فردية معارضة و أخرى نحن جمعية، و يتضح ذلك من خلال شعره إذ هناك جدلية الصراع النسقي بين سلطتين، سلطة الفرد التي يمثلها عنترة بن شداد من خلال بطولاته الحربية وفروسيته و هجائه الجارح لمن وقف ضده من ذويه أو من غيرهم و في المقابل سلطة الآخر الخصم المعارض له، فالصفات اللاأخلاقية و غير المحمودة التي أظهرها الآخر أثارت سخط الشاعر وحيرته، خاصة و أن انتهاكات الآخر للقيم الانسانية النبيلة جعلت الشاعر يرفض هذه السلوكات و يقف أمامها موقفا معارضا قصد إزاحتها فيقول:

أعاتبُ دَهرًا لا يليـــنُ لعَاتـب و أطلبُ أمنا من صُروف النوائِـب
و توعدني الأيَام وعدًا تغُـرّنـي و أعلَـــمُ حقًّا أنـــهُ وعـدٌ كـــاَذِب
خَدمتُ أُناسًا و اتخذتهم أقاربًـا لعوني و لكن أصبَحـوُا كالعَـقـارِب
ينَادونَني في السلم يا ابنَ زبيبة وعِندَ صِدام الخَيل يا ابنَ الأطَايـبِ[2]

[1]- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص: 217.

[2] - الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص: 35.

من الواضح في هذه الأبيات بروز صراع حاد بين نسقين مضادين يتمثل الأول في صوت الشاعر الذي يوجه لومه لزمن وقوم تحاملوا في غدره حيث وعدوه وعودا كاذبة بالرغم من خدمته لهم، لكنهم حرصوا على غدره بقوله (أصبحوا كالعقارب) (ينادونني في السلم يا ابن زبيبة ...) من خلال رفض قبيلته له و لسواد لونه فتمادوا بمعايرته و إذلاله.

كما تتضح صورة النسق المضاد لقبيلته من خلال إظهار وفائه لها بالرغم من خيانتها له يقول:

أعادي صرف دَهرٍ لا يُعَادى و أحتَملُ القَطيعَة و البِـــعَادا
و أُظهِرُ نُصحَ قومٍ ضَيّعُـوني و إن خَانتْ قُلوبُهُم الـــوِدادَا
أُعلّل بالمنـــى قلـــبًا عَليـــلاً و بالصَّبرِ الجميلِ و إن تَمَـادَا
يُعَيّرُني العَدَا بسَـوَادِي جـلدِي و بيضُ خِصَالِي تمْحُو السَّوادَا[1]

فقد كانت علاقة عنترة بقبيلته أمَرُّ من علاقة عدو بعدوه، خاصة و أن قبيلته لم تحفظ وده و قيمته وحبه لها بل تمادت في خيانته و رفضه (و إن خانت قلوبهم الوداد) لكن هذه السلوكيات السلبية رفضها الشاعر وواجهها بصبر و عزم، كما رفض معايرتهم له بسواد لونه من خلال أفعاله الحميدة (بيض خصالي) التي من شأنها محو سواد البشرة.

كما أن حزن الشاعر على فراق محبوبته هو معارضة حقيقية لواقع الحياة يقول:

حلَّت بأرضِ الزائرِين فأصبَحَتْ عسرًا علَيّ طِلاَبُكِ ابنة مَخرَمِ
عُلّقتُـــهَا عَرَضًا و أَقتُـــلُ قَومَهَا زَعمًا لعمرُ أبيك ليسَ بمَزعَمِ [2]

صور عنترة في هذه الأبيات احساسه بتجربة فقد محبوبته (ابنة مخرم) (حلت بأرض الزائرين)، فبعد أن عشقها و سلبت عقله حلت في مكان يحول بينه و بين الوصول إليها، لكن وقوفه ضد أعدائه حاجزا أمام قيمة

حبه لها فيقول:

و لقَد نَزَلتِ فلا تظُنّي غَيرَهُ منّي بِمَنزِلَة المُحِبّ المُكْرَمِ [3]

[1] - الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة ، ص: 49.

[2] - أبي عبد الله بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص: 131.

[3] - المصدر نفسه ، ص 131.

و بالرغم من إدراك الشاعر و وعيه بأن محبوبته تمثل عنده جوهر الحياة و استمراريتها خاصة وأن حبه لها قد استوطن قلبه لكنه في مقابل ذلك لم ينل وصالها بسبب عداوته مع قبيلتها فعارضته و اختارت البعاد عنه يقول:

كيفَ المزار و قد تربَّــعَ أهلُهَا بعنزتَين و أهلنا بالغَيلَم
إن كَانت أزمَعَت الفراق فإنّـمَا زمَّت ركابكم بليلٍ مظلِم [1]

فهو يرى صعوبة الوصول إليها و زيارتها خاصة و إن بين قبيلتيهما مسافة بعيدة و مشقة كذلك رفضها له من خلال عزمها على الفراق و في ذلك محاولة للتخلص من حبه (أزمعتِ الفراق).

كما أراد الشاعر تجسيد صورة الناقة، و حضورها رغبة منه في التخلص من ألم الفراق عن محبوبته و يتضح ذلك من خلال قوله:

فوَقَفتُ فيهَا نَاقَتي و كأَنّهَا فَدَنق لأقضِي حاجَة المتلوّمِ [2]

وقف الشاعر على ناقته في دار محبوبته يبكي فراقها و يتأمل وصالها، خاصة و أن الناقة في العصر الجاهلي كانت رمز للقوة و الصبر و القدرة على تحمل المصاعب، فألصق بها الشاعر صفات خارقة قادرة على تحدي الآخر المضاد سواء كان هذا الآخر مكانا أو زمانا أو انسانا، و ذلك من خلال تشبيهها بالفدن (القصر) (كأنها فدنٌ) في عظمها و ضخم جرمها (جسدها) فالشاعر بعد أن أضحى وحيدا و بائسا من فراق.

كما يتضح مرة أخرى صراعه مع قبيلته في قوله:

عتبت الدّهر كيف يُذِلُّ ملي و لِي عَزم أقــدُّ به الجبـــاَلاَ
أنا الرّجُل الذي حبّرتُ عنه و قد عانيت من خبري الفعالاَ [3]

من اللافت في هذه الأبيات أن هناك صراعا بين نسقين ضدين، يتمثل الأول في صوت الشاعر من خلال تعجبه من إذلال الدهر له و الانقاص من قيمته و رفضه لهذا التهميش و بذلك تعرية نسقه المضاد والمتمثل في صوت الجماعة أو فيما يعرف بالنسق القبلي، حيث حرص هذا

[1] - أبي عبد الله بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص: 131.

[2] - المصدر نفسه ، ص 130.

[3] - الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص:54.

الأخير على رفضه و عدم قبوله (يذل مثلي) بالرغم من أنه الرجل و الفارس الذي صنع مجدها.

يقول كذلك:

و إذَا ظُلِمتُ فإنّ ظُلمي بَاسلٌ مرٌّ مذَاقُهُ كطَعمِ العَلقَمِ [1]

يصف الشاعر ظلمه بغير حق بطعم العلقم في مرارته، فهو كريم الخلق لا يظلم غيره بباطل و هذا هو النسق الظاهر، أما النسق المضمر فهو في قوله (كطعم العلقم)، إذ يعمد الشاعر من خلال هذا التشبيه إلى إظهار صورة سلبية تعكس ظلم النسق المضاد له (الآخر الخصم) فيجعله يتجرع مرارة ذلك الظلم، فالعلقم هنا هو رمز يدل على مدى رفض عنترة للظلم.

كما يتذمر عنترة و النسق الأولي من نسقه الضدي و المتمثل في كفران و عدم شكر عمرا نعمته، خاصة و أن كفران النعمة ينقص من نفس المنعم على الأنعام، و يذهب التعامل الحسن بين الأفراد، فهو (الشاعر) يرى في هذا السلوك الذي أبداه عَمر سلوكا يتنافى و القيم الأخلاقية الموجودة في عنترة في قوله (والكفر مخبثة) فالخبث هنا اتضح خلال السلوك المعادي الذي قام به عمر و المتمثل في عدم رد الحسنة بالمثل، فيقول:

نُبّئت عَمرًا غَير شاَكرٍ نعمَتي و الكُفرُ مخبثة لنَفسِ المُنعَم[2]

وبذلك حاول عنترة ابراز الجانب اللاأخلاقي للنسق المضاد (عمر) و موقفه منه من خلال رفضه.

كما يصور لنا الشاعر الصراع الموجود في إطار علاقته بقبيلته، فهي في نزاع و صراع دائم مع باقي القبائل و بما أن الفرد هو جزء لا يتجزأ من هذه القبيلة فما عليه إلا حمايتها من قوى الشر و غدر مكائد غيره ويتضح ذلك في قوله:

وإذا الكتيبَة أحجَمت و تلاَحظَت ألفَيت خيرًا من مُعِمٍّ مُخْوَلِ[3]

و الخيلُ تعلَم و الفَوَارِسُ أنّني فرّقتُ جمعَهُم بضربَة فيصلِ

يرفع عنترة بن شداد من قدر نفسه من خلال بعده عن الجبن و الضعف أثناء الحرب خاصة و أن في حربه مع بنوا تميم كان الحامي لها و الفيصل فيها بالرغم من تمييزه إلى أمه

[1] - أبي عبد الله بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص: 137.

[2] - المصدر نفسه، ص: 141.

[3] - الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص:227.

السوداء من قبل قيس بن زهير الذي قال فيه "و الله ما حمى الناس إلا ابن السوداء"[1] فاستاء عنترة من هذا القول و عارض بقوله الأبيات السابقة الذكر، ذلك أن سواد لونه و نسبه لم ينقصا من تمسكه بقبيلته و حمايتها من أيادي الغدر و مواجهة قوى الشر التي تحاول القضاء على قبيلته، فسلطة الفرد المتمثلة في ذات الشاعر من خلال فروسيته و بطولته (ألفت خيرا من معم و مخول) جعلته يعارض الآخر الخصم المتمثل في قيس بن زهير و الذي عيره بنسبه إلى أمه الحبشية، فهذا النسق المضاد أظهر له عنترة قوة لا تقهر و ردّ غدره بإبراز شجاعته في الحرب بأنه كان أول حام لها.

[1] - ديوان عنترة بن شداد، ص:42.

خاتمة:

حاول النقد الثقافي من خلال مساءلته للنصوص إلى ممارسة عملية عكسية تتمثل في الكشف عن أنظمتها و أنساقها الثقافية، و بذلك نقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته و أنماطه و صيغه خاصة و أن الشعر عند العرب هو الأثر العظيم الذي حفظ لنا حياة العرب في جاهليتهم، و كان عنترة بن شداد من الشعراء البارزين الذين حفل شعرهم بمضمون ثقافي متميز عكس لنا شخصيته و ثقافته، هذه الثقافة من شأنها إخفاء أنساق ثقافية مضمرة تحتاج إلى تحليل ثقافي دقيق.

و من جملة النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي ما يلي:

1- معرفة طبيعة البيئة الجاهلية التي عاش فيها عنترة بن شداد و التي عكست على حياته الشخصية و الاجتماعية.

2- سُبق النقد الثقافي عند الغرب بمجال آخر أوسع و أشمل هو الدراسات الثقافية.

3- الدراسات الثقافية مجال ظهر قبل النقد الثقافي إثر إنشاء مركز " برمنغهام" للدراسات الثقافية.

4- أسست الدراسات الثقافية نظاما معرفيا جديدا مخالفا عن ما كان سائدا من قبل، و ذلك من خلال كسر مركزية النص و الكشف عن أنظمته الثقافية.

5- اتخذت الدراسات الثقافية و النقد الثقافي من الثقافة فضاءا و مجالا هاما للكشف عن إيجابيات و نقائص المؤسسات الثقافية.

6- لا يتحدد النسق الثقافي إلا بالتقاء نسقان متعارضان، أحدهما ظاهر و الآخر مضمر.

7- بروز أنساق ثقافية طاغية في شعر عنترة بن شداد عكست لنا طبيعة حياته و صراعاتها.

8- بروز النسق الفردي من خلال ذات عنترة المتعاظمة و بذلك كان رمز القوة و الفروسية والخلق الكريم.

9- معارضة عنترة بن شداد للآخر كانت بمثابة السخط أو الغضب على سلوكيات و أخلاقيات ظالمة.

10- يكشف النسق القبلي في شعر عنترة عن صراعه الدائم بينه و بين قبيلته.

11- أفصحت لنا أشعار عنترة بن شداد عن أنساق ثقافية و مضامين مختلفة من خلال نسق ظاهر و آخر مبطن و متخفي.

و في الأخير أسأل الله التوفيق فان أصبت فمن الله و إن أخطأت فمني و من الشيطان.

الفهرس

مقدمة.....أ- ب

مدخل: عنترة بن شداد **5**

1- إسمه.....5

2- ميلاده.....6-7

3- نشأته.....7-10

4- العبودية.....10-11

5- الحرية.....11-12

6- الفروسية.....12-15

7- الوفاة.....15

الفصل الأول: النقد الثقافي(النشأة والتطور)

1- مفهوم الثقافة.....18-19

2- الدراسات الثقافية.....19-23

3- مفهوم النقد الثقافي.....23-26

4- مفهوم النسق الثقافي.....26-28

5- شروط النسق الثقافي(لغة، اصطلاحا).....28-30

6- الفرق بين النسق الشعري والنسق الثقافي.....30-32

الفصل الثاني: الأنساق الثقافية في شعر عنترة بن شداد

تمهيد

1- النسق الجمعي.....35

أ- النسق القبلي.....36-38

2- النسق الفردي.....39

أ- نسق الفحولة.....39-48

3- نسق المعارضة (النسق المضاد).....49-53

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

ملخص

الفهرس

الفهرس

مقدمة.....أ- ب

مدخل: عنترة بن شداد **5**

1- إسمه.....5

2- ميلاده.....6-7

3- نشأته.....7-10

4- العبودية.....10-11

5- الحرية.....11-12

6- الفروسية.....12-15

7- الوفاة.....15

الفصل الأول: النقد الثقافي(النشأة والتطور)

1- مفهوم الثقافة.....18-19

2- الدراسات الثقافية.....19-23

3- مفهوم النقد الثقافي.....23-26

4- مفهوم النسق الثقافي.....26-28

5- شروط النسق الثقافي(لغة، اصطلاحا).....28-30

6- الفرق بين النسق الشعري والنسق الثقافي.....30-32

الفصل الثاني: الأنساق الثقافية في شعر عنترة بن شداد

تمهيد

1- النسق الجمعي.....35

أ- النسق القبلي.....36-38

2- النسق الفردي.....39

أ- نسق الفحولة.....39-48

3- نسق المعارضة (النسق المضاد).....49-53

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

ملخص

الفهرس

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

1. أبى عبد الله الحسن بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، تح : طلال أحمد، دار الكتاب العربي الحديث، القاهرة، ط1، 2002.
2. الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، تح: مجيد طراد، دار النشر العربي، بيروت. ط1 1992.
3. شرح ديوان عنترة، تح: محمد سعيد مولوي، المكتب الاسلامي، دمشق، دط، دت.

- **المراجع:**

4. ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط1، 1919.
5. أحمد بن الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر و أخبار شعرائها، دار الكتاب العربي بيروت، دط، 2005.
6. ادريس خضراوي، الأدب موضوعا للدراسات الثقافية، جذور للنشر،الرباط، ط1، 2007.
7. ادوارد تايلر و مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر: على سيد الصاوي، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، دط، 1997.
8. آرثر أيزا برجر، النقد الثقافي، تر: وفاء ابراهيم و رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003.
9. إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، تر: محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، الكويت، ع 244، دط، 1999.
10. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جامعة بغداد، بغداد،ج9 ،ط2 1993.
11. حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2007.
12. طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف، مصر، ج1، ط1، 1925.
13. عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب و أنساق الثقافة ، الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف، لبنان، الجزائر، ط1، 2010.
14. عبد الله ابراهيم، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.

15. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي لبنان، بيروت، ط3، 2005.
16. مالك بن بني، مشكلة الثقافة، تز: عبد الصبور شاهين، دار الجهاد، ط1، 1995.
17. ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، لبنان المغرب ط3، 2002.
18. يوسف عليمات، النسق الثقافي: قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.

- **المعاجم:**

19. ابن منظور، لسان العرب، تح: خالد رشيد القاضي،ج 14، دار صبح، لبنان، ط1 2006.

- **مجلات:**

20. سلامة موسى، الثقافة و الحضارة، مجلة الهلال، دط، دع، القاهرة، 1927.

ملخص:

إهتم النقد الثقافي بنقد الأنساق الثقافية التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه المتعددة، فهو يرى النص ركيزة أساسية لإفراز أنساق مضمرة من خلال إستخدام أدوات ووسائل للخوض فيما وراء النص وبذلك الكشف عن حبل الثقافة من خلال تمريرها لهذه الأنساق.

وقد شكل شعر عنترة بن شداد فضاءا أو مضمارا واسعا في إخفاء هذه الأنساق الثقافية وتخزينها،والتي تكشف للمتلقي طبيعة حياة الشاعر وشخصيته، وكذا جوانب الصراع الدائم والقائم بينه وبين الآخر، ومحاولة الشاعر لرد إعتباره ومكانته بين أفراد قبيلته.

فالأنساق الثقافية في شعره هي أنساق مستوحاة من بيئته الجاهلية بكل أنظمتها وترجمة لما كان يحدث في البيئة العربية الجاهلية آنداك والمتتبع لشعر عنترة بن شداد يلاحظ بروز عدة أنساق ثقافية ذات طبيعة نسقية مضمرة تعكس لنا واقع حياته ومدى تأثير هذه الأنساق على حياته النفسية والإجتماعية.

ومن الأنساق الثقافية البارزة في شعره نجد: النسق الجمعي / القبلي، والنسق الفردي/فحولي ونسق المعارضة بالإضافة إلى وجود أنساق ثقافية أخرى لاتقل أهمية عن سابقتها.

Summary:

Criticism gives more Importance to the cultural symmetry which the cultural speech contains with all of its modes and various types . this Criticism conceders the text as very important in providing symmetries by using tools that help in going deeper through the text .

This aids in discovering cultural tricks in neglecting these symmetries .

Antara Ibn Shadad poetry made a vast space in covering these cymmetries that give a clear picture on the poet's life nature and his personality also the conflict between him and the others . His cultural cymmetries were taken from his period of life with its systems .The one ,who is interested in Antara's poetry can deduce the appearance of different cultural cymmetries which give us a real image on his life and how much influence those cymmetries had on his social and psychic sides .

Among these cymmetries : collective , individual , contestive cymmetries in addition to others that are not less Important than these ones .